

المختصر المفيد

في علم التوحيد

جمعه وأعد بحمد الله وتوفيقه

الأبوجنيد العزيز منير الزدري

دار

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

المختصر المفيد في علم التوحيد

جمعه وأعدّه بحمد الله وتوفيقه
الأبوجنيد العزيز منير الطندري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطباعة محفوظة

الطبعة الأولى

1441 هـ - 2020 م

الإخراج الفني
بدار الفرقان

دار الفرقان للنشر والتوزيع - 2020/1441

ردمك : 978-9931-616-42-9

الإيداع القانوني: السداسي الأول، 2020

Dar Al-furquan Edition. 2020

ISBN: 978-9931-616-42-9

Dépôt Légal: 1^{er} semestre. 2020



دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)

جوال: 00 213 (0) 556965810

dar.alfurquan@gmail.com



قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَالْتَوْحِيدُ مَلَجَاُ الطَّالِبِينَ، وَمَفْزَعُ الْهَارِبِينَ،

وَنَجَاةُ الْمَكْرُوبِينَ، وَغِيَاثُ الْمَلْهُوفِينَ؛ وَحَقِيقَتُهُ: إِفْرَادُ

الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ»

«إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (٢/ ١٣٥).

سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّذَلُّ لِعَظَمَتِهِ، وَلَا غِنَى إِلَّا فِي الْإِفْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلَا هُدًى إِلَّا فِي الْاسْتِهْدَاءِ بِنُورِهِ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّهِ، الَّذِي إِذَا أُطِيعَ شَكَرَ، وَإِذَا عُصِيَ تَابَ وَإِذَا اسْتُغْفِرَ غَفَرَ، وَإِذَا دُعِيَ أَجَابَ، وَإِذَا عُوْمِلَ أَثَابَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَقَرَّتْ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صُنْعَتِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَى نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَسُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَأَمْلَاكُهَا، وَالنُّجُومُ وَأَفْلَاكُهَا، وَالْأَرْضُ وَسُكَّانُهَا، ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّنَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ **حَلِيمٌ غَفُورٌ** ﴿٤٤﴾ [سُورَةُ الْإِسْرَاءِ].

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةُ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ
وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى
رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتْ
الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى مُؤْمِنِينَ
وَكُفَّارٍ، وَأَبْرَارٍ وَفَجَّارٍ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ
الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ،
وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتْ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ،
وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ
كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا
تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟
وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟

فَجَوَابُ الْأُولَى: بِتَحْقِيقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.
وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا،
وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخَيْرُتُهُ مِنْ خَلْقِهِ،
وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَبْعُوثُ بِالذِّينِ الْقَوِيمِ، وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ،
أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِّلْمُتَّقِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ

أَجْمَعِينَ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعَزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وَزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّكْرَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ^(١).

فَلَا صَلَاحَ لِلْعِبَادِ، وَلَا فَلَاحَ وَلَا نَجَاحَ، وَلَا حَيَاةَ طَيِّبَةً وَلَا سَعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا نَجَاةَ مَنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوَّلِ مَفْرُوضٍ عَلَيْهِمْ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ ﷻ لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَلِأَجْلِهِ خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَبِهِ حَقَّتْ الْحَاقَّةُ وَوَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَفِي شَأْنِهِ تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَعَلَى حَسَبِ ذَلِكَ تُقَسَّمُ الْأَنْوَارُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ

نُورٍ﴾ [سُورَةُ النَّبِيِّ: ٢٤]^(٢).

أَخِي الْحَبِيبِ الْمُوَحِّدِ إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الْحُلُّ الْوَحِيدُ لِمَشَاكِلِنَا..
لَهُمُومِنَا، لِعُومِنَا، لِأَحْزَانِنَا.. لِخَوْفِنَا عَلَى رِزْقِنَا...

(١) مُقَدِّمَةُ «زَادَ الْمَعَاد» (١/ ٣٤).

(٢) «مَعَارِجُ الْقَبُول» (١/ ٥٥).

فَمَنْ أَرَادَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ... وَمَنْ أَرَادَ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ فَعَلَيْهِ
بِالتَّوْحِيدِ... وَمَنْ أَرَادَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ... التَّوْحِيدُ هُوَ سَبِيلُ
سَعَادَةِ الْعَبِيد.

أَخِي الْحَبِيبُ إِنَّ الْهَدَفَ مِنْ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ هُوَ تَثْبِيتُ التَّوْحِيدِ فِي قُلُوبِنَا
وَالْتَرَكِيزُ عَلَيْهِ فِي مَجَالِسِنَا وَدُرُوسِنَا وَدَعَوَتِنَا، بَلْ وَفِي حَيَاتِنَا كُلِّهَا كَمَا قَالَ
الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢)
[سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: «حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، فَلَا يُدْعَى إِلَّا هُوَ، وَلَا يُخْشَى وَلَا
يُتَّقَى إِلَّا هُوَ، وَلَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يَكُونُ الدِّينُ إِلَّا لَهُ، لَا لِأَحَدٍ مِنَ
الْخَلْقِ، وَأَنْ لَا نَتَّخِذَ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، فَكَيْفَ بِالْأُمَّةِ وَالشُّيُوخِ
وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ»^(١).

وَأَصْلُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مَبَاحِثٌ لَطِيفَةٌ، جَمَعْتُهَا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَهْتَمُّ
بِمَبَاحِثِ التَّوْحِيدِ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَرَّبَّتُهَا وَهَذَّبْتُهَا وَوَقَّفْتُهَا
فَأَصْبَحَتْ كَالْمُذَكَّرَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الشَّاتَاتِ الْمُشْتَوِرِ فِي الرِّسَائِلِ
وَالْمُجَلَّدَاتِ، بِأُسْلُوبٍ بَعِيدٍ عَنِ الْاِخْتِصَارِ الْمُخِلِّ، وَالتَّطْوِيلِ الْمُمِلِّ.

(١) «مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» (٣/ ٤٩٠).

سَائِلًا اللَّهَ تَعَالَى الْإِخْلَاصَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

مُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ

أَبُو حَسَنٍ الْعَزِيزُ بْنُ مُنِيرٍ الْهَزْدَرِيُّ

abou-abdelaziz@hotmail.fr



المطلب الأول:

مَا هُوَ التَّوْحِيدُ؟

وَمَا هِيَ أَقْسَامُهُ؟

تعريف التَّوْحِيد^(١):

في اللغة: مَصْدَرٌ وَحَدَّ الشَّيْءُ إِذَا جَعَلَهُ وَاحِدًا.

(١) تنبيه: شاعَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ التَّوْحِيدِ فِي مَعْنَى عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ فِي إثْبَاتِ قَضَايَا الْإِعْتِقَادِ.. فَالْخُرُوجُ بِلَفْظِ التَّوْحِيدِ إِلَى مَعْنَى عِلْمِ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ بَدَلًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مَضِيَّةً مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ!!

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ كَيْدِهِ بِهِمْ وَتَحْيِيلِهِ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ: أَنْ أَلْقَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنَّ الْقَوَاطِعَ الْعَقْلِيَّةَ وَالْبَرَاهِينَ الْيَقِينِيَّةَ فِي الْمَنَاهِجِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَالطَّرِيقِ الْكَلَامِيَّةِ، فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اقْتِبَاسِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ مِنْ مَشْكَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَالَهُمْ عَلَى مَنْطِقِ يُونَانَ وَعَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْبُرْهَانِ، وَقَالَ لَهُمْ: تِلْكَ عُلُومٌ قَدِيمَةٌ صَقَلَتْهَا الْعُقُولُ وَالْأَذْهَانُ، وَمَرَّتْ عَلَيْهَا الْقُرُونُ وَالْأَزْمَانُ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَلَطَّفَ بِكَيْدِهِ وَمَكْرِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَا أَخْرَجَ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ» «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ» (١/ ١١٩)، وَانْظُرْ: «الْحَقِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» (ص ٧٥).

وَفِي الشَّرْعِ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ
وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

أَقْسَامُهُ:

يَنْقَسِمُ التَّوْحِيدُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١. تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

٢. تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ.

٣. تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ

وَأَصْطَرِ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سُورَةُ هُودٍ: ٦٥].

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ^(١): هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ،

(١) وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ مِنْهُ عَلَى إِقْرَارِ الْمُشْرِكِينَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ

مَعَ إِشْرَاكِهِمْ بِهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يَقُولُونَ﴾ [سُورَةُ الْحَجُّ: ١٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سُورَةُ الْحَجُّ: ١٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يَقُولُونَ﴾ [سُورَةُ الزَّحْرَفِ: ١٢].

فَلَمْ يَكُنْ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ هِيَ الَّتِي تُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَتَرْزُقُ الْعَالَمَ وَتُدَبِّرُ
شُؤْنَهُ، بَلْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَيَقْرُونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ

والتدبير، فإفراذه بالخلق: أَنْ يَعْتَقِدَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٥٤].

فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تُفِيدُ الْحَضَرَ لِتَقْدِيمِ الْخَبَرِ، إِذْ إِنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ

الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِعِبَادِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا اسْتِقْلَالًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ، وَيَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِذَلِكَ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ إِلَيْهِمْ وَلَا إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ وَمَا عَدَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالرَّبُّ وَمَا عَدَاهُ مَرْبُوبٌ، غَيْرَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ شُرَكَاءَ وَوَسَائِطَ، يَشْفَعُونَ لَهُمْ بَرَعَمِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُقَرِّبُونَهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى؛ وَلِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سُورَةُ

الْبَنَاتِ: ٣].

أَيُّ: لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي نَصْرِهِمْ وَرِزْقِهِمْ وَمَا يُنُوبُهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا. وَمَعَ هَذَا الْإِقْرَارُ الْعَامِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ بَلْ حَكَمَ اللَّهُ فِيهِمْ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ كَافِرُونَ وَتَوَعَّدَهُم بِالنَّارِ وَالْخُلُودِ فِيهَا وَاسْتَبَاحَ رَسُولُهُ ﷺ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِكَوْنِهِمْ لَمْ يُحَقِّقُوا لَازِمَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْإِفْرَارَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَحْدَهُ دُونَ الْإِثْنَانِ بِإِلَازِمِهِ تَوْحِيدَ الْإِلَوهِيَّةِ لَا يَكْفِي وَلَا يُنْجِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ حُجَّةٌ بَالِغَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ تَقْتَضِي إِخْلَاصَ الدِّينِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَسْتَلْزِمُ إِفْرَادَ اللَّهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ «أُصُولُ الْإِيمَانِ» (ص ١٧).

يُفِيدُ الْحَصْرَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ خَلَقَ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ

قَطْر: ٣].

فَهَذِهِ الْآيَةُ تُفِيدُ اخْتِصَاصَ الْخَلْقِ بِاللَّهِ لِأَنَّ الاسْتِفْهَامَ فِيهَا مُشْرَبٌ مَعْنَى التَّحْدِي...
 الْقِسْمُ الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ:

وَيُقَالُ لَهُ: تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ بِاعْتِبَارَيْنِ؛ فَبِاعْتِبَارِ إِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ يُسَمَّى: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَبِاعْتِبَارِ إِضَافَتِهِ إِلَى الْخَلْقِ يُسَمَّى تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ. وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ.

فَالْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ [سُورَةُ لُقْمَانَ: ٣٠].

وَالْعِبَادَةُ تُطْلَقُ عَلَى شَيْئَيْنِ:

الْأَوَّلُ: التَّعَبُّدُ بِمَعْنَى التَّذَلُّلِ لِلَّهِ ﷻ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا.

الثَّانِي: الْمُتَعَبُّدُ بِهِ؛ فَمَعْنَاهَا كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ

وَالْبَاطِنَةُ»^(١).

مِثَالُ ذَلِكَ: الصَّلَاةُ؛ فَفِعْلُهَا عِبَادَةٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ.

وَنَفْسُ الصَّلَاةِ عِبَادَةٌ، وَهُوَ الْمُتَعَبِّدُ بِهِ.

فَإِفْرَادُ اللَّهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ: أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ تُفْرِدُهُ بِالتَّذَلُّلِ؛ مَحَبَّةً

وَتَعْظِيمًا، وَتَعَبُّدِهِ بِمَا شَرَعَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا فَنَقَعْدُ

مَذْمُومًا نَحْذُولًا﴾ (٢٢) ﴿سُورَةُ الْأَنْزِيلِ﴾.

تَنْبِيْهٌ:

مِنْ الْعَجَبِ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُصَنِّفِينَ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ يُرَكِّزُونَ عَلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَأَنَّمَا يُخَاطَبُونَ أَقْوَامًا يُنْكِرُونَ وُجُودَ الرَّبِّ - وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ مَنْ يُنْكِرُ الرَّبَّ - لَكِنْ مَا أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ الْوَاقِعِينَ فِي شِرْكِ الْعِبَادَةِ!!

وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَكَّزَ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ؛ حَتَّى نُخْرِجَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٠/١٤٩).

وَهَذَا يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

الأوَّل: الإثبات، وَذَلِكَ بِأَنْ نُثَبِتَ لِلَّهِ ﷻ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الثَّانِي: نَفْيُ الْمُمَاثَلَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ لَا نَجْعَلَ لِلَّهِ مِثْلًا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سُورَةُ

الشُّورَى: ١١].^(١)

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَسَمَ التَّوْحِيدَ إِلَى قِسْمَيْنِ!

فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ فَوَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْإِثْبَاتِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الْمَطْلَبِ وَالْقَصْدِ»^(٢).

فَالْجَوَابُ:

هَذَا التَّقْسِيمُ صَحِيحٌ بِنَوْعِيهِ وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّ النَّاطِرَ إِلَى التَّوْحِيدِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ يُقَسِّمُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: (رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ، وَالْوَهَيْيَّةِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ)، أَمَّا مِنْ جِهَةٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَبْدِ فَيُقَسِّمُ إِلَى: (الْمَعْرِفَةِ وَالْإِثْبَاتِ، وَالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ).

(١) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ» (١/ ١١ - ١٦).

(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٣/ ٤٤٩).

فَالرُّبُوبِيَّةُ وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ تَدْخُلُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْإِثْبَاتِ، وَالْأُلُوهِيَّةُ تَدْخُلُ فِي الْقَصْدِ وَالطَّلَبِ^(١).

تَنْبِيْهُ: هَلْ يُوجَدُ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ يُسَمَّى بِتَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ؟
الْجَوَابُ:

قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ:

«هَذَا قِسْمٌ بَاطِلٌ؛ مُبْتَدَعٌ، فَلَمْ يَكُنْ مِمَّا ذَكَرَهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا لَقُلْنَا: لَا مُشَاحَّةَ فِي الْأَصْطِلَاحِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّ تَوْحِيدَ الْحَاكِمِيَّةِ يَدْخُلُ ضَمْنَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِاعْتِبَارِهِ حُكْمًا لِلَّهِ، وَفِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَبْدَ مُتَعَبِّدٌ بِهِ، وَمَفْرُوضٌ عَلَيْهِ، إِذَنْ لَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ نَجْعَلَهُ قِسْمًا بِرَأْسِهِ، لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَى كَوْنِهِ قِسْمًا بِرَأْسِهِ أَشْيَاءٌ مُخَالَفَةٌ لِلشَّرْعِ، وَمِنْهَا التَّسْرُّعُ بِتَكْفِيرِ الْحُكَّامِ، فَيَقُولُونَ: إِذَا خَالَفَ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ - قَدْ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ - يَقُولُونَ هَذَا كَافِرٌ، لِأَنَّهُ أَخْلَى بِالتَّوْحِيدِ؛ لِهَذَا وَضَعُوا هَذَا الْقِسْمَ الرَّابِعَ»^(٢).

كَمَا لَا يَفُوتُنِي التَّنْبِيْهُ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ هُوَ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً، وَقَدْ عُرِفَ بِالاسْتِقْرَاءِ.

قَالَ الْعَلَامَةُ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(١) «حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ» (ص ٨٨).

(٢) «شَرْحُ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَّةِ» (٣ / ٣٤).

«هَذَا التَّقْسِيمُ الاسْتِقْرَائِيُّ لَدَى مُتَقَدِّمِي عُلَمَاءِ السَّلَفِ: أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ مِنْدَه، وَابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَغَيْرُهُمَا، وَقَرَّرَهُ شَيْخَا الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ الْقَيِّمِ، وَقَرَّرَهُ الزَّبِيدِيُّ فِي (تَاجِ الْعُرُوسِ)، وَشَيْخُنَا الشَّنْقِيطِيُّ فِي (أَضْوَاءِ الْبَيَّانِ)، وَآخَرِينَ رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

وَهُوَ اسْتِقْرَاءٌ تَامٌّ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ، وَهُوَ مُطَرَّدٌ لَدَى أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ كَمَا فِي اسْتِقْرَاءِ النُّحَاةِ: كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى (اسْمٍ، وَفِعْلٍ، وَحَرْفٍ)، وَالْعَرَبُ لَمْ تَفْهَمْ بِهِذَا وَلَمْ يُعْتَبَرْ عَلَى النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ عَاتِبٌ، وَهَكَذَا مِنْ أَنْوَاعِ الاسْتِقْرَاءِ»^(١).

أَمَّا الْعَلَاqَةُ بَيْنَ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ:

فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ مُسْتَلَزِمٌ لِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ تَمَامِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ صِفَاتِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ»^(٢).

(١) «التَّحْذِيرُ مِنْ مُخْتَصَرَاتِ الصَّابُونِي فِي التَّفْسِيرِ» (ص ٢١).

وَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فَلْيَرْجِعْ إِلَى كِتَابِ شَيْخِنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْبَدْرِ حَفِظَهُ اللَّهُ بِعُنْوَانِ: «الْقَوْلُ السَّدِيدُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ تَقْسِيمَ التَّوْحِيدِ».

(٢) «التَّعْلِيلُ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْحَسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ص ٣٣).

المطلب الثاني:

مَا مَعْنَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؟

كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ «كَلِمَةُ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتْ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَأَبْرَارٍ وَفُجَّارٍ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقَبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟

فَجَوَابُ الْأُولَى: بِتَحْقِيقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَعْرِفَةِ وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا،

وَأَنْقِيَادًا وَطَاعَةً»^(١).

فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ حَافِظُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

"لَا إِلَهَ" نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ "إِلَّا اللَّهُ" مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، فَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَتَقْدِيرُ خَيْرِ (لَا) الْمَحْذُوفِ (بِحَقِّ) هُوَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»^(٢).

(١) «زَادُ الْمَعَاد» (١/ ٣٤).

(٢) «مَعَارِجُ الْقَبُول» (٢/ ٤١٦).

فَائِدَةٌ:

إِعْرَابُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ):

«فَ (لَا) هُنَا نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، وَتُسَمَّى أَيْضًا فِي بَعْضِ كُتُبِ النَّحْوِ بِ (لَا التَّبَرُّتِ)، فَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَبَرَّأَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ إِلَّا اللَّهَ.

وَ(إِلَه) اسْمٌ (لَا) وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، وَالنَّحْوِيُّونَ يَقْدَرُونَ الْخَبَرَ كَلِمَةً (مَوْجُود)، وَهَذَا التَّقْدِيرُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ إِذْ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ آلِهَةٌ مَوْجُودَةٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِثْلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ وَالْأَشْخَاصِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

﴿٣٠﴾ [شُورَى لِقَمَحَانِ]، فَهَذَا التَّقْدِيرُ لَا يَصْلُحُ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ لَا إِلَهَ

حَقٌّ أَوْ لَا إِلَهَ مَعْبُودَ بِحَقِّ (إِلَّا اللَّهُ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (وَالْأَلَا) حَصْرٌ، وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ بَدَلٌ

وَمَعْنَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: «طَاعَتُهُ ﷺ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ»^(١).

قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ:

الْأَوَّلُ: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا.

الثَّانِي: (تَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) عَنِ الْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: (وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ) كَالزَّنَا وَالرِّبَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَى

اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

الرَّابِعُ: (وَأَنَّ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ) فَلَا يَبْتَدِعُ فِي الدِّينِ مِمَّا لَمْ يَشْرَعْهُ

اللَّهُ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي الْخَبَرِ؛ لِأَنَّ خَبَرَ (لَا) إِذَا قُلْنَا: لَا إِلَهَ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ، أَوْ قُلْنَا: لَا إِلَهَ حَقٌّ، فِيهِ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فَيَكُونُ لَفْظُ الْجَلَالَةِ بَدَلًا مِنْ هَذَا الضَّمِيرِ.

هَذَا هُوَ إِعْرَابُ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ إِعْرَابَهَا لِأَنَّهُ قَدْ يَمُرُّ عَلَى الطَّالِبِ فِي بَعْضِ كُتُبِ النُّحُوِّ تَقْدِيرُ الْخَبَرِ بِكَلِمَةِ (مَوْجُود) وَقَدْ تَبَيَّنَ فَسَادُهُ «حُصُولُ الْمَأْمُولِ»

(ص ١١١).

(١) «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» (ص ٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٣٤٩).

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» ^(١) أَي: مَرْدُودٌ ^(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«النُّفُوسُ أَخْرُجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ وَاتَّبَاعِهِ مِنْهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ هَذَا إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْمَوْتُ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْعَذَابُ» ^(٣).

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ، فَعَلَيْهِ تُعْرَضُ الْأَشْيَاءُ عَلَى خُلُقِهِ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ، فَمَا وَافَقَهُمَا فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهُمَا فَهُوَ الْبَاطِلُ» ^(٤).

فَاخْرُصْ أَخِي الْحَبِيبُ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَتَكُونَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَاعِيًا لِلتَّوْحِيدِ..

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ

أَغْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ ^(٥)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٩٧)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧١٨).

(٢) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (ص ٤١).

(٣) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١ / ٥).

(٤) «الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي وَآدَابِ السَّامِعِ» (٨).

(٥) قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَوْلُهُ: «فَلِوَاحِدٍ» الْوَاحِدُ هُوَ اللَّهُ ﷻ، وَذَلِكَ بِالْإِخْلَاصِ.

المطلب الثالث:

شروط كلمة التوحيد

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ شَهَادَةَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لَا تَنْفَعُ قَائِلَهَا إِلَّا بِتَحْقِيقِ شُرُوطٍ، فَإِذَا حَقَّقَهَا الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ حَقَّقَ كَلِمَةَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي نَفْسِهِ، وَاسْتَحَقَّ ثَوَابَهَا، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِنْ لَمْ يُحَقِّقْهَا كَانَ نُطْقُهُ لَهَا مُجَرَّدَ كَلَامٍ، لَمْ يُدْخِلْهُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَهَا بِاللِّسَانِ لِيَكُونَ سِتْرًا لَهُمْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَاصِمَةً لِدِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلَكِنَّهَا لَنْ تَنْفَعَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْعَقِدْ عَلَيْهَا اعْتِقَادُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَفِي الْآخِرَةِ سَيَكُونُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، كَحَالِ إِخْوَانِهِمُ الْكَافِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ] (١).

قَالَ الْعَلَامَةُ حَافِظُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ:

قَوْلُهُ: «كُنْ وَاحِدًا»؛ أَيُّ: فِي صِدْقِكَ وَجِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ.

قَوْلُهُ: «فِي وَاحِدٍ»؛ أَيُّ: وَحَدَّ نَفْسَكَ لِلَّهِ ﷻ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَهُوَ طَرِيقُ النَّبِيِّ ﷺ

وَذَلِكَ بِالْمُتَابَعَةِ «شَرْحُ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» (٣/ ٢٨٠).

(١) «شَرْحُ شُرُوطِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» (ص ٢٧).

وَبَشْرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قِيِدَتْ
وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا
بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ
وَالْإِنْقِيَادُ فَادِرُ مَا أَقُولُ
الصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ
وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّه
وَجَمَعَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الشُّرُوطَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:
عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصَدْقٌ مَعَ
مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولُ لَهَا
وَلَنْقِفْ وَقِفَةً مُخْتَصِرَةً مَعَ هَذِهِ الشُّرُوطِ لِبَيَانِ الْمُرَادِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا،
مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ أدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

- أَمَّا الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَعْنَاهَا الْمُرَادُ مِنْهَا نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا الْمُنَافِي
لِلْجَهْلِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ مَنْ قَالَهَا أَنَّهَا تَنْفِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَنْ
سِوَى اللَّهِ، وَتَثْبُتُ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سُورَةُ الْفَاتِحَةِ].

أَيُّ: نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَلَا نَسْتَعِينُ بِسِوَاكَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الزَّحْرَفِ: ٨١].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ: مَعْنَى مَا شَهِدُوا بِهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ.

وَبُتِيَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ عَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، فَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ.

- أَمَّا الشَّرْطُ الثَّانِي: فَهُوَ الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ وَالرَّيْبِ، أَيُّ: أَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُوقِنًا بِهَا يَقِينًا جَازِمًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ، وَالْيَقِينُ هُوَ تَمَامُ الْعِلْمِ وَكَمَالُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ الصَّدِيقُونَ﴾ [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: ١٥]، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ

لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أَيُّ: أَيْقَنُوا وَلَمْ يَشْكُوا.

وَبُتِيَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ

شَاكَ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

وَبُثِّتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ لَقِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»^(٢)، فَاشْتَرَطَ الْيَقِينَ.

- وَالشَّرْطُ الثَّلَاثُ: هُوَ الْإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلشِّرْكِ وَالرِّيَاءِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَصْفِيَةِ الْعَمَلِ وَتَنْقِيَتِهِ مِنْ جَمِيعِ الشَّوَابِ الظَّاهِرَةِ وَالْخَفِيَّةِ، وَذَلِكَ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ^٣﴾ [سُورَةُ الْبُرُجِ: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الْبَيْنَةِ: ٥]، وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ»^(٣)، فَاشْتَرَطَ الْإِخْلَاصَ.

- وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ: هُوَ الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، وَالصِّدْقُ هُوَ أَنْ يَوَاطِيَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ، وَلِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣١).

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٩٩).

اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٣٠﴾ [سُورَةُ
الْمُنَافِقُونَ]، فَوَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالْكَذِبِ؛ لِأَنَّ مَا قَالُوهُ بِالْإِسْتِثْمِ لَمْ يَكُنْ
مَوْجُودًا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سُورَةُ الْحَجَّكَوُتِ] .

وَبَتَّ فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا
مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا
حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١)، فَاشْتَرَطَ الصَّدَقَ.

- الشَّرْطُ الْخَامِسُ: الْمَحَبَّةُ الْمُنَافِيَّةُ لِلْبُغْضِ وَالْكُره، وَذَلِكَ بِأَنْ

يُحِبَّ قَائِلُهَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ الْقَائِمِينَ بِأَوَامِرِ
اللَّهِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَأَنْ يُبْغِضَ مَنْ خَالَفَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَتَى بِمَا
يُنَاقِضُهَا مِنْ شُرْكِ وَكُفْرٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاطِ الْمَحَبَّةِ فِي الْإِيمَانِ قَوْلُ
اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٦٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَوْثَقُ عُرَى
الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(٢).

(١) زَوَالُ الْجَزَائِرِيِّ (١٢٢٨)، زَوَالُ مُسْلِمٍ (٣٢).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٨٦/٤)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»

(١٧٢٨).

- وَالشَّرْطُ السَّادِسُ: الْقَبُولُ الْمُنَافِي لِلرَّدِّ، فَلَا بُدَّ مِنْ قَبُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَبُولًا حَقًّا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْبَاءَ مَنْ سَبَقَ مِمَّنْ أَنْجَاهُمْ لِقَبُولِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَانْتِقَامِهِ وَإِهْلَاكِه لِمَنْ رَدَّهَا وَلَمْ يَقْبَلْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٠) [سُورَةُ يُنُسُ].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ الْمُشْرِكِينَ:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا ءَالِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿سُورَةُ الصَّافَّاتِ﴾.

- الشَّرْطُ السَّابِعُ: الْإِنْقِيَادُ الْمُنَافِي لِلتَّوَكُّلِ؛ إِذْ لَا بُدَّ لِقَائِلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنْ يَنْقَادَ لِشَرْعِ اللَّهِ، وَيُذِنَ لِحُكْمِهِ وَيُسَلِّمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ إِذْ بِذَلِكَ يَكُونُ مُتَمَسِّكًا بِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلِذَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سُورَةُ الْفَتَّاتِ]، أَيُ: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَاشْتَرَطَ سُبْحَانَهُ الْإِنْقِيَادَ لِشَرْعِ اللَّهِ، وَذَلِكَ بِإِسْلَامِ الْوَجْهِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

فَهَذِهِ هِيَ شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهَا عَدَّ الْأَفَاطِهَا وَحِفْظُهَا فَقَطْ، فَكَمْ مِنْ عَامِيٍّ اجْتَمَعَتْ فِيهِ وَالتَزَمَهَا وَلَوْ قِيلَ لَهُ: اْعُدْهَا لَمْ يُحْسِنَ ذَلِكَ، وَكَمْ مِنْ حَافِظٍ لِأَلْفَافِهَا يَجْرِي فِيهَا كَالسَّهْمِ، وَتَرَاهُ يَقَعُ كَثِيرًا فِيمَا يُنَاقِضُهَا، فَالْمَطْلُوبُ إِذَا الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ مَعًا لِيَكُونَ الْمَرْءُ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صِدْقًا، وَمِنْ أَهْلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ حَقًّا، وَالْمَوْفِقُ لَذَلِكَ وَالْمُعِينُ
هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، فَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَحْدَهُ»^(١).



(١) «فِقْهُ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ» (١/ ١٦٢-١٦٥).

المطلب الرابع:

نواقض التَّوْحِيد^(١)

لَا رَيْبَ أَنَّ فِي مَعْرِفَةِ الْمُسْلِمِ لِهَذِهِ النَّوَاقِضِ فَائِدَةً عَظِيمَةً فِي الدِّينِ، إِذَا عَرَفَهَا مَعْرِفَةً يَقْصِدُ مِنْ وَرَائِهَا السَّلَامَةَ مِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ، وَالنَّجَاةَ مِنْ تِلْكَ الْآفَاتِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الشِّرْكَ وَالْكَفَرَ وَالْبَاطِلَ وَطُرُقَهُ وَأَبْغَضَهَا وَحَذَرَهَا وَحَذَرَ مِنْهَا وَدَفَعَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَدْعُهَا تَخْدِشْ إِيْمَانَهُ، بَلْ يَزِدَّادَ بِمَعْرِفَتِهَا بَصِيرَةً فِي الْحَقِّ وَمَحَبَّةً لَهُ، وَكَرَاهَةً لِتِلْكَ الْأُمُورِ وَنُفْرَةً عَنْهَا كَانَ لَهُ فِي مَعْرِفَتِهِ هَذِهِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَنَافِعِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ تُعْرَفَ سَبِيلُ الْحَقِّ لِتُحَبَّ وَتُسَلَّكَ، وَيُحِبُّ أَنْ تُعْرَفَ سَبِيلُ

(١) قَالَ الْعَلَامَةُ صَالِحُ الْفَوْزَانِ حَفِظَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الْمَوْضُوعُ قَدْ اِهْتَمَّ بِهِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهُوَ جَدِيرٌ بِالْإِهْتِمَامِ فَالْتَفُوا فِيهِ مُؤَلَّفَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَجَعَلُوا لَهُ بَابًا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ يُسَمُّونَهُ (بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ).

وَذَكَرُوا فِي هَذَا الْبَابِ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ وَحُكْمَ مَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ النَّوَاقِضِ الَّتِي لَا تَخْطُرُ عَلَى بَالِ الْإِنْسَانِ لَكِنَّهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَحْصَوْهَا وَبَيَّنُّوْهَا وَبَيَّنُّوا حُكْمَ مَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا» «دُرُوسٌ فِي شَرْحِ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ» (ص ١٧).

الْبَاطِلِ لَتُجْتَنَّبَ وَتُبْغَضَ؛ إِذْ إِنَّ الْمُسْلِمَ كَمَا أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِمَعْرِفَةِ سَبِيلِ الْخَيْرِ لِيُطَبَّقَهَا، فَهُوَ كَذَلِكَ مُطَالِبٌ بِمَعْرِفَةِ سُبُلِ الشَّرِّ لِيَحْذَرَهَا، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الصَّحَابَةُ يُسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي»^(١).

وَلِهَذَا أَيْضًا قِيلَ:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِتَوْقِيهِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِهَذِهِ الْحَالِ وَعَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْرِفَ الْأُمُورَ الَّتِي تُنَاقِضُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِيَكُونَ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ، وَهِيَ كَمَا تَقَدَّمَ تَنْتَقِضُ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، إِلَّا أَنْ أَشَدَّ هَذِهِ النَّوَاقِضُ خَطَرًا وَأَكْثَرُهَا وَقُوعًا عَشْرَةُ نَوَاقِضَ ذَكَرَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَفِيمَا يَلِي ذِكْرُ لِهَذِهِ النَّوَاقِضِ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ، لِيَحْذَرَهَا الْمُسْلِمُ وَلِيَحْذَرَ مِنْهَا غَيْرُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجَاءَ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ مِنْهَا^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) رَوَاهُ الْجَزَائِيُّ (٣٦٠٦)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٤٧).

(٢) «فِقْهُ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ» (١/١٧١).

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِصَ الْإِسْلَامِ عَشْرَةٌ نَوَاقِصُ^(١):

الْأَوَّلُ: الشِّرْكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤٨].

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ، أَوْ لِلْقَبْرِ.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ^(٣)، يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ،

(١) النَوَاقِصُ: جَمْعُ نَاقِصٍ، وَهِيَ الْمُبْطَلَاتُ، مِثْلُ نَوَاقِصِ الْوُضُوءِ، أَيِ: مُبْطَلَاتِهِ.

تَنْبِيْهٌ:

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْوَاجِبُ الْحَذَرُ مِنْ إِطْلَاقِ الْكُفْرِ عَلَى طَائِفَةٍ أَوْ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ، حَتَّى يَعْلَمَ تَحَقُّقُ شُرُوطِ التَّكْفِيرِ فِي حَقِّهِ، وَانْتِفَاءُ مَوَانِعِهِ» «مَجْمُوعُ فِتَاوِيهِ» (٣/ ٥٥).

(٢) بَأَنْ يُعْبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ، كَأَنْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَنْدُرُ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَسْجُدُ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَسْجُدُ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ...

أَوْ يُعْبَدُ غَيْرُ اللَّهِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، بِالْدُّعَاءِ، بِالذَّبْحِ، بِالنَّدْرِ، بِالاسْتِغَاثَةِ، بِالاسْتِعَانَةِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَدْعُو الْمَوْتَى، يَسْتَغِيثُ بِالْقُبُورِ، يَسْتَنْجِدُ بِالْأَمْوَاتِ..

(٣) هَذَا نَوْعٌ مِنَ النَّاقِصِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ أَفْرَدَهُ وَجَعَلَهُ نَوْعًا مُسْتَقِلًّا لِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ..

وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ، كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ^(١)، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَذِي النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلَ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ، عَلَى حُكْمِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كَفَرَ^(٢).

السَّادِسُ: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ اللَّهِ، أَوْ ثَوَابِهِ، أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ؛

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْذِرُوا قَدْ

كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التَّحْوِيتُ].

(١) يَقُولُ: أَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا عِنْدِي شِرْكٌ، وَلَا أَشْرَكْتُ بِاللَّهِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا أُكْفِرُهُمْ،

نَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مَا عَرَفْتَ الدِّينَ، يَجِبُ أَنْ تُكْفِرَ مَنْ كَفَرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ،

وَتَتَبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ وَقَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾

[سُورَةُ الْحَجَرِ].

(٢) فَبُغِضَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ رِدَّةً، وَلَوْ عَمِلَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ].

السَّابِعُ: السَّحَرُ، وَمِنْهُ: الصَّرْفُ، وَالْعَطْفُ^(١)؛ فَمَنْ فَعَلَهُ، أَوْ رَضِيَ بِهِ، كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَّالِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَنْعَلَمُونَ مَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البَقَّة].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ^(٢) وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البَنَازِلَةُ].

التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

(١) الْعَطْفُ: يَحْصُلُ بِهِ تَحْيِيبُ الرَّجُلِ إِلَى امْرَأَتِهِ، وَالصَّرْفُ: لِبُغْضِ الرَّجُلِ لَهَا، أَوْ أَيْ عِلَاقَةً تَجْمَعُ بَيْنَ مُتَحَابِّينَ.

(٢) أَيْ: مُعَاوَنَتُهُمْ، فَالْمُظَاهَرَةُ مَعْنَاهَا الْمُعَاوَنَةُ، بِأَنْ تُعِينَ الْكُفَّارَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَنْ أَحَبَّ الْكُفَّارَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، وَهَذَا هُوَ التَّوَلَّى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سُورَةُ

يَتَوَلَّاهُمْ بِالْمُنَاصَرَةِ وَالْمُظَاهَرَةِ، أَوْ يَتَوَلَّاهُمْ بِالْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ؛ لِأَنَّهُ أَحَبَّ الْكُفْرَ وَأَحَبَّ الْكُفَّارَ فَيَكْفُرُ بِذَلِكَ، إِذَا أَحَبَّهُمْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرِ الْكُفْرَ، وَمَنْ لَمْ يُنْكِرِ الْكُفْرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ: الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام، فَهُوَ كَافِرٌ.
 الْعَاشِرُ: الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
 مُنْقِمُونَ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِصِ، بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِ، وَالْخَائِفِ، إِلَّا
 الْمُكْرَهُ^(١)، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ وَقُوعًا، فَيَنْبَغِي
 لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ
 غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ^(٢).



(١) الْهَازِلُ: هُوَ الَّذِي لَا يَقْصِدُ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا مِنْ بَابِ الْمُرَاحِ وَاللَّعِبِ.
 الْخَائِفُ: الَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ دَفْعًا لِلْخَوْفِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ.
 اسْتَفَدْتُ هَذِهِ التَّعْلِيلَاتِ مِنْ كَلَامِ الْعَلَامَةِ صَالِحِ الْفُوزَانِ حَفِظَهُ اللَّهُ «سِلْسِلَةُ شَرْحِ
 الرَّسَائِلِ» (ص ٢٠٩).

(٢) «مَجْمُوعُ مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» (٦/ ٢٥٨).

المطلب الخامس:

فضائل التوحيد

فَضَائِلُ التَّوْحِيدِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى وَلَا تُحَدُّ وَلَا تُسْتَفْصَى..
 «إِنَّ كُلَّ خَيْرٍ يَنَالُهُ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلُّ شَرٍّ يَنْجُو مِنْهُ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ مِنْ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ وَأَثَرٍ مِنْ أَثَارِهِ، وَإِذَا دَخَلْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ فِي ثَمَارِ التَّوْحِيدِ وَأَثَارِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ وَأَثَارِهِ وَأَنَّهُ يُصَحِّحُ الْأَعْمَالَ وَيُزَكِّيْهَا؛ إِذِ الْأَعْمَالُ أَيًّا كَانَتْ وَمَهْمَا كَانَتْ لَا تَصِحُّ مِنَ الْعَامِلِ وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، فَهُوَ لِلْأَعْمَالِ كَالْأَسَاسِ لِلْبُنْيَانِ وَكَالْأُصُولِ لِلْأَشْجَارِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩) [سُورَةُ الْإِنشِرَافِ] «(١)».

فَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّهُ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِتَفْرِيجِ كُرْبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَدَفْعِ عُقُوبَتَيْهِمَا.

وَمِنْ أَجَلِّ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَمْنَعُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ إِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ، وَأَنَّهُ إِذَا كَمُلَ فِي الْقَلْبِ يَمْنَعُ دُخُولَ النَّارِ بِالْكُلِّيَّةِ.

(١) «مِنْ مَعَالِمِ التَّوْحِيدِ» (ص ٤٢).

* وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ الْهُدَى الْكَامِلَ وَالْأَمْنَ التَّامَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

* وَمِنْهَا: أَنَّهُ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِنَيْلِ رِضَا اللَّهِ وَثَوَابِهِ، وَأَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.

* وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مُتَوَقِّفَةٌ فِي قَبُولِهَا وَفِي كَمَالِهَا وَفِي تَرْتُّبِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا عَلَى التَّوْحِيدِ، فَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ كَمَلَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَتَمَّتْ.

* وَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّهُ يُسَهِّلُ عَلَى الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَيُسَلِّطُهُ عَلَى الْمُصِيبَاتِ، فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ فِي إِيْمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخَفُّ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ لِمَا يَرْجُو مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي، لِمَا يَخْشَى مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.

* وَمِنْهَا: أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا كَمَّلَ فِي الْقَلْبِ حَبَّبَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْإِيْمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَجَعَلَهُ مِنَ الرَّاشِدِينَ.

* وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُخَفِّفُ عَنِ الْعَبْدِ الْمَكَارِهِ وَيُهَيِّئُ عَلَيْهِ الْآلَامَ، فَبِحَسَبِ تَكْمِيلِ الْعَبْدِ لِلتَّوْحِيدِ وَالْإِيْمَانِ، وَتَلَقِّيهِ الْمَكَارِهِ وَالْآلَامَ بِقَلْبٍ مُشْرِحٍ وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ وَتَسْلِيمٍ وَرِضَا بِأَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ.

* وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ: أَنَّهُ يُحَرِّرُ الْعَبْدَ مِنْ رَقِّ الْمَخْلُوقِينَ وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ

وَخَوْفِهِمْ وَرَجَائِهِمْ وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْعِزُّ الْحَقِيقِيُّ وَالشَّرَفُ الْعَالِي.

وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُتَالِّهَا مُتَعَبِّدًا لِلَّهِ، لَا يَرْجُو سِوَاهُ وَلَا يَخْشَى إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يُنِيبُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ فَلَاحُهُ وَيَتَحَقَّقُ نَجَاحُهُ.

* وَمِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِي لَا يُلْحَقُهُ فِيهَا شَيْءٌ: أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ فِي الْقَلْبِ وَتَحَقَّقَ تَحَقُّقًا كَامِلًا بِالْإِخْلَاصِ التَّامِّ فَإِنَّهُ يَصِيرُ الْقَلِيلُ مِنْ عَمَلِهِ كَثِيرًا، وَتَضَاعَفُ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ بِغَيْرِ حَصْرِ وَلَا حِسَابٍ، وَرَجَحَتْ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ بِحَيْثُ لَا تُقَابِلُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَعُمَارُهَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِ اللَّهِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي حَدِيثِ الْبُطَاقَةِ الَّتِي فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّتِي وَزَنْتُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا مِنَ الذُّنُوبِ، كُلُّ سَجَلٍ يَبْلُغُ مَدَّ الْبَصَرِ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ إِخْلَاصِ قَائِلِهَا، وَكَمْ مِمَّنْ يَقُولُهَا لَا تَبْلُغُ هَذَا الْمَبْلَغَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ الْكَامِلِ مِثْلٌ وَلَا قَرِيبٌ مِمَّا قَامَ بِقَلْبِ هَذَا الْعَبْدِ.

* وَمِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ: أَنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لِأَهْلِهِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَحُصُولِ الْهِدَايَةِ وَالتَّيْسِيرِ لِلْيُسْرَى وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ وَالتَّسْدِيدِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

* وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الْمُوَحِّدِينَ أَهْلَ الْإِيمَانِ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِمْ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ وَالطُّمَأْنِينَةَ بِذِكْرِهِ،

وَشَوَاهِدُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١).
 وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ فِي تَقْرِيرِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ:
 ١ - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢).

٢ - وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ». ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ»، فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزَى ^(٣).

٣ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي.
 قَالَ: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاتَّبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا».

(١) «الْقَوْلُ السَّيِّدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص ١٩).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣١١٦)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٣٣/٥)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣٥١/١)، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَوَافَقَهُ الدَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٤٧٩).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٨٢).

قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟
قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ»^(١).

٤- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ نُوحًا ﷺ قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ
مَوْتِهِ: «أَمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ
وُضِعَتْ فِي كَفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً فَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

٥- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى
ﷺ يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا.
قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصُنِي بِهِ.

قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ [وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي] وَالْأَرْضِينَ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٦٩/٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «سِلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ» (١٣٧٣).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٧٠/٢)، وَصَحَّحَهُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَحْقِيقِ «الْمُسْنَدِ»
(٦٥٨٣)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٥٤٨)، وَالبَزَّازُ (٢٩٩٨)، وَالحَاكِمُ
وَوَافَقَهُ الدَّهَبِيُّ.

السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

٦- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجَلَاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(٢).

٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ

(١) رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨ / ٣٢٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٨٣٤)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (١٣٩٣)، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ (١ / ٥٢٨)، وَابْنُ جَبَّانٍ (٢٣٢٤) «مَوَارِدُ»، وَالبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (٥٤ / ٥).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٣٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٣٠٠)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢ / ٢١٣)، وَابْنُ جَبَّانٍ (٢٥٢٤)، وَالْحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَك» (١ / ٦)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣ / ٥٣).

إِلَّا اللَّهُ فَطَّ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرَ»^(١).

٨- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ مِنْ أَفْضَلِ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَفْضَلِ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

٩- وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ، ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ»^(٣).

١٠- وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤).

١١- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٩٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٥٦٤٨).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٨٣)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٨٠٠)، وَالْحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ»

(١/٥٠٣)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١١٠٤).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٣٠)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٧٩٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ» (٧١٣).

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٨٥)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٢٧٤).

فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»^(١).

١٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

١٣ - وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٣).

١٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا مِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا مِائَةَ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٢٨)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٢٣٥)، وَالحَاكِم (١ / ٥٣٨)، وَحَسَنُهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (٤١١ / ٣).

(٢) رَوَاهُ الْجَارِيُّ (٣٢٩٣)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩١).

(٣) رَوَاهُ الْجَارِيُّ (٦٤٠٤)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩٣).

سَيِّئَةً، وَكَانَتْ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهَا مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(١).

١٥ - وَعَنْ عُمَارَةَ بْنِ شَيْبٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ أَوْ الصُّبْحِ [مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَسْلَحَةً يَحْرُسُونَهُ [مِنَ الشَّيْطَانِ] حَتَّى يُصْبِحَ، وَمِنْ حِينَ يُصْبِحَ حَتَّى يُمْسِيَ [وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعِدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ]»^(٢).

١٦ - وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»^(٣).

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣٦٠ / ٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٢٦)، وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ رحمته الله كَمَا فِي «تُحْفَةِ الْأَخْيَارِ» (ص ٤٤).

(٢) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٥٧٧) (٥٧٨)، وَاللَّفْظُ مِنَ الرَّوَايَتَيْنِ، وَهُوَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَجَهَالَةُ الصَّحَابِيِّ لَا تَضُرُّ، انْظُرْ: «صَحِيحُ كِتَابِ الْأَذْكَارِ لِلنَّوَوِيِّ» (٢٥٣ / ١).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٠٦٩)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (١٢٠١)، وَالنَّسَائِيُّ فِي

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَحْرُمْ عِبَادَهُ الْخَيْرَ وَالْفَضْلَ فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مَرَّةً وَاحِدَةً كَانَ لَهُ الْفَضْلُ الْآتِي:

١٧ - عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَانَ لَهُ عِدَلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»^(١).

١٨ - وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُتْلِغُ أَوْ فَيُسَبِّحُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٢).

١٩ - وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ

«عَمِلَ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَةَ» (٩)، وَقَالَ: «أَعْتَقَهُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ»، وَابْنُ السُّنِّي (٧٠)، وَحَسَنَ إِسْنَادِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِي سَمَاحَةُ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ فِي «تُحْفَةِ الْأَخْيَارِ» (ص ٢٣).

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٠٧٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٨٦٧)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤ / ٦٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (١ / ٢٧٠).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤)، وَابْنُ دَاوُدَ (١٦٩، ١٧٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٥٥).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ
اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١).

٢٠- وَعَنْ عُتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «.. فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(٢).

٢١- وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ
قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا.
غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(٣).

٢٢- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ
رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.
قَالَ فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٨٥)، وَابْنُ دَاوُدَ (٥٢٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٤٠).

(٢) رَوَاهُ الْجَارِيُّ (٤٢٥)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٣).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٨٦).

دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

٢٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

٢٤- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

٢٥- وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٤).

٢٦- قَتَلَ أَسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَسَامَةُ، قَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٤٩٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٧٥)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٨٥٧)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣٦٠ / ٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ «فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٤٣٢ / ٣).

(٢) رَوَاهُ الْجَائِزِيُّ (٩)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٥).

(٣) رَوَاهُ الْجَائِزِيُّ (٥٨٢٧)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٤).

(٤) رَوَاهُ الْجَائِزِيُّ (٣٤٣٥)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨).

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ.
 قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»
 وَفِي رِوَايَةٍ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».
 قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا
 جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا
 اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»
 قَالَ أُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»^(١).



(١) زَوَالُ مَسْلَمَةَ (٩٦).

وَقَدْ اسْتَفَدْتُ فِي نَقْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَتَخْرِيجِهَا مِنْ كِتَابِ: «الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فِي ضَوْءِ
 الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» (ص ١٦)، جَزَى اللَّهُ مُؤَلِّفَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

المطلب السَّاسُ:

الأوليات^(١)

١ / التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ عَهْدٍ أَخَذَهُ اللهُ عَلَى بَنِي آدَمَ ﷺ قَبْلَ خَلْقِهِمْ:
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
 غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا
 فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ حَدِيثُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
 «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ
 مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ.
 فَيَقُولُ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي
 شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ

(١) هَذَا الْمَبْحَثُ مُلَخَّصٌ مِنْ كِتَابِ «الْمَجْمُوعِ الْمُفِيدِ فِي بَيَانِ أَهْمِيَّةِ التَّوْحِيدِ»
 (٣٦-٦١).

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٦٥٥٧)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٢٦١).

أَصْلَابِهِمْ، شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»^(١).

٢/ التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ مَا يُفْطَرُ عَلَيْهِ الْمَوْلُودُ وَهُوَ سَابِقٌ لِلشِّرْكِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَجَمَعَ عَلَيْهِ الصلوة والسلام بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: تَغْيِيرُ الْفِطْرَةِ بِالتَّهْوِيدِ وَالتَّنْصِيرِ، وَتَغْيِيرُ الْخِلْقَةِ بِالْجَدْعِ، وَهُمَا الْأَمْرَانِ اللَّذَانِ أَخْبَرَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُعَيِّرَهُمَا؛ فَعَيَّرَ فِطْرَةَ اللَّهِ بِالْكَفْرِ، وَهُوَ تَغْيِيرُ الْخِلْقَةِ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا، وَغَيَّرَ الصُّورَةَ بِالْجَدْعِ وَالبَتِّ، فَعَيَّرَ الْفِطْرَةَ إِلَى الشِّرْكِ، وَالْخِلْقَةَ إِلَى الْبَتِّ وَالْقَطْعِ، فَهَذَا تَغْيِيرُ خِلْقَةِ الرُّوحِ، وَهَذَا تَغْيِيرُ خِلْقَةِ الصُّورَةِ»^(٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بَعْدَ آدَمَ عليه السلام وَقَبْلَ نُوحٍ عليه السلام عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ عليه السلام حَتَّى ابْتَدَعُوا الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ - بِدْعَةً مِنْ تَلَقَاءِ أَنْفُسِهِمْ - لَمْ

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (٣/ ٥٠٠).

(٢) رَوَاهُ الْجَرَّائِيُّ (١٣٨٥)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٩٢٦).

(٣) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (١/ ١٠٧).

يَنْزِلُ اللَّهُ بِهَا كِتَابًا وَلَا أَرْسَلَ بِهَا رَسُولًا؛ بِشُبُهَاتٍ زَيْنَهَا الشَّيْطَانُ مِنْ جِهَةِ الْمَقَائِيسِ الْفَاسِدَةِ، وَالْفَلَسَفَةِ الْحَائِدَةِ»^(١).

٣/ التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ نِعْمَةٍ عَدَّهَا اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّعْمِ فَهُوَ أَعْظَمُ النَّعْمِ وَأَجْلَهَا:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَقَدْ أَمَرُ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٢) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوَّلُ مَا عَدَّدَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النَّعْمِ فِي سُورَةِ النَّعْمِ الَّتِي تُسَمَّى [سُورَةُ النَّحْلِ] وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ الْعِبَادِ نِعْمَةً أَكْبَرُ مِنْ أَنْ عَرَفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣).

٤/ التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٦٠٣/٢٨).

(٢) «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهَا» (ص ٥٣).

وَالْحَجَّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ^(١).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَوَّلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامُ، وَكَوْنُهُ لَهُ الْأَوَّلِيَّةُ وَاضِحٌ بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ وَبِهِ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ فَتُقْبَلُ أَوْ تُرَدُّ، فَهُوَ بَوَابُهُ الْإِسْلَامِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدًى إِلَى دَارِ الْمُقَامَةِ وَالسَّلَامِ.

٥/ التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ أَمْرِ بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَافَّةُ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، بَلْ الْغَايَةُ مِنْ إِرْسَالِهِمْ:

«إِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ يَقْصُصُ عَلَيْنَا فِي جَلَاءٍ وَوُضُوحٍ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَا يُنْكِرُونَهُ عَلَى قَوْمِهِمُ الشِّرْكَ وَمَظَاهِرُهُ، وَعَلَى حُكْمِ هَذِهِ السُّنَّةِ الرَّشِيدَةِ جَاءَتْ بَعْثَةُ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ؛ فَعُنِيتْ بِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّحَرُّزِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَإِنَّكَ لَتَجِدُ تِلْكَ الْعِنَايَةَ ظَاهِرَةً فِي الْكِتَابِ وَأَطْوَارِ الْبَعْثَةِ وَأَرْكَانِ الدِّينِ»^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

[سُورَةُ الْحَجَّكَ] (٣٦)

(١) رَوَاهُ الْجَزَائِرِيُّ (٨)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٢).

(٢) «الشِّرْكَ وَمَظَاهِرُهُ» (ص ٤٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ﴾ (١١) قُلْ إِنَّمَا

أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ أَحَدًا (٢٠) [سُورَةُ الْحَجِّ].

٦/ التَّوْحِيدُ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ (١):

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» (٢).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّوْحِيدُ قَدْ يَكْفِي وَحْدَهُ

(١) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوَّلُ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالُ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ؛ بَلْ أَيْمَةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِالطَّهَّارَةِ وَالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ أَوْ مِيزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطَبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ..» (شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ (ص ٢٨).

(٢) رَوَاهُ الْجَزَائِرِيُّ (٧٣٧٢)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٢).

فِي إِسْلَامِ الْعَبْدِ وَدُخُولِهِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ثُمَّ تُوَفِّي قَبْلَ
وُجُوبِ

شَيْءٍ مِنَ الْفُرُوعِ عَلَيْهِ كَفَى التَّوْحِيدُ وَحْدَهُ؛ فَالتَّوْحِيدُ لَيْسَ فَقِيرًا إِلَيْهَا
بَلْ هِيَ الْفَقِيرَةُ إِلَيْهِ فِي صَحَّتِهَا^(١).

٧ / التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ عِلْمٍ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مَعْرِفَتَهُ وَلَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سُورَةُ
حُجُرَاتٍ: ١٩].

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الْعِلْمُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ - وَهُوَ الْعِلْمُ
بِتَوْحِيدِ اللَّهِ - فَرُضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، لَا يَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ، كَائِنًا مَنْ
كَانَ، بَلْ كُلُّ مُضْطَرٍّ إِلَى ذَلِكَ»^(٢).

بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ»: «بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ».

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فَبَدَأَ
بِالْعِلْمِ.

(١) «شَرْحُ كَشَفِ الشُّبُهَاتِ مِنْ تَقْرِيرَاتِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ» (ص
٩٥).

(٢) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» ص (٧٨٧).

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَالْإِنْسَانُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَوَّلًا، ثُمَّ يَعْمَلُ، فَيَتَعَلَّمُ دِينَهُ وَيَعْمَلُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).

٨ / التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ أَمْرٍ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ مِثْلُهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ (١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: وَحَدُّوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^(٢).

وَلِذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ الْخُصُومَةَ فِيهِ»^(٣).

٩ / اسْتِمَالُ أَوَّلِ وَأَفْضَلِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ: قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (ص ١٢).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (١ / ١٩٥).

(٣) «كِتَابُ التَّوْحِيدِ» (ص ٩).

وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ. ﴿١﴾ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿٣﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٤﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿٥﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 ﴿٦﴾ تَوْحِيدٌ ﴿٧﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٨﴾ تَوْحِيدٌ ﴿٩﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٠﴾ تَوْحِيدٌ مُتَّصِمٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ،
 ﴿١١﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ»^(١).

١٠ / التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ أَمْرٍ يَفْتَتِحُ الْعَبْدُ بِهِ يَوْمَهُ وَيَخْتِمُهُ بِهِ:
 وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي
 رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
 ﴿٢﴾^(٣).

وَجَاءَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِ﴿سَبِّحْ اسْمَ
 رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
 ﴿٢﴾^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَسُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾، فِيهَا

(١) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص ٨٢).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٢٧).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٤٢٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٤٦٣)، وَالنَّسَائِيُّ (١٧٣٠)، وَابْنُ مَاجَهَ

(١١٧٤).

بَيَّانٌ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَبَيَّانٍ مَا يَجِبُ تَنْزِيهُهُ عَنْهُ مِنَ
النَّقَائِصِ وَالْأَمْثَالِ، وَسُورَةُ ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ (١)، فِيهَا إِجَابُ
عِبَادَتِهِ وَحُدِّهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّبَرِّي مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَلَا يَتِمُّ أَحَدُ
التَّوْحِيدَيْنِ إِلَّا بِالْآخَرِ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي سُنَّةِ
الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْوُتْرِ اللَّتَيْنِ هُمَا فَاتِحَةُ الْعَمَلِ وَخَاتِمَتُهُ؛ لِيَكُونَ مَبْدَأُ
النَّهَارِ تَوْحِيدًا وَخَاتِمَتُهُ تَوْحِيدًا «^(١).

١١ / التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ:

فَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟
فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟

فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

قَالَ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ «^(٢).

(١) «اجْتِمَاعُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (ص ٤٣).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٥٠)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢٦٢)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٨٥٣٤).

المطلب السابع:

من قصص الموحدين

فِي هَذَا الْمَبْحَثِ نُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى بَعْضِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي سَطَّرَتْ مِنْ نُورٍ عَلَى جَبِينِ التَّارِيخِ.. إِنَّهَا مَوَاقِفُ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ عَاشُوا بِالتَّوْحِيدِ.. وَعَاشُوا لِلتَّوْحِيدِ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا وَسَلُوكًا وَدَعْوَةً ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سُورَةُ يُسُفًى].

وَاعْلَمْ عَبْدَ اللَّهِ أَنَّ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَاطِبَةً دَعْوَةٌ لِتَوْحِيدِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

﴿٣٦﴾ [سُورَةُ الْحَجَّاتِ].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ، وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ،

وَزُبْدَةُ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةُ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا»^(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَكْثَرَ الرُّسُلِ افْتَتَحُوا دَعْوَتَهُمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ.

وَقَوْمُهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالْخَالِقِ لَكِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ»^(٢).



(١) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص ٢٠).

(٢) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٦ / ٣٣٢).

النُّمُودَجُ الْأَوَّلُ: نُوحٌ ﷺ

نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ ﷺ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا عُبِدَتْ الْأَصْنَامُ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ، فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا يَقُولُ لَهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُ وَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا أَنْزَلَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ بِالطُّوفَانِ، وَكَيْفَ أَنْجَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ، فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ... وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْفَسَادَ لَمَّا انْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ وَالْبَلَاءَ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فِيهَا، بَعَثَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ نُوحًا ﷺ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ قَالَ: «فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنْكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَّغْنَا فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ».

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ،
وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا أَلَا
تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ،
وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»^(١).

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا ﷺ دَعَاهُمْ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَأَنْ لَا يَعْبُدُوا مَعَهُ صَنَمًا وَلَا تِمْنَالًا وَلَا طَاغُوتًا، وَأَنْ يَعْتَرِفُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ،
وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ
هُمْ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [سُورَةُ
الصَّافَّاتِ].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ].

وَلِهَذَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سُورَةُ
الْأَنْعَامِ].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَن لَا تَعْبُدُوا

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٣٣٤٠)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٠١).

إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٦١﴾ ﴿شُكْرُهُ هُوَ﴾ .

فَذَكَرَ أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَنْوَاعِ الدَّعْوَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالسِّرِّ وَالْإِجْهَارِ بِاللَّتَرغِيبِ تَارَةً وَالتَّرْهيبِ أُخْرَى، وَكُلُّ هَذَا فَلَمْ يَنْجَحْ فِيهِمْ بَلْ اسْتَمَرَّ أَكْثَرُهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالطُّغْيَانِ، وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَنَصَبُوا لَهُ الْعِدَاوَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ، وَتَنَقَّصُوهُ وَتَنَقَّصُوا مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَوَعَّدُوهُمْ بِالرَّجْمِ وَالْإِخْرَاجِ وَنَالُوا مِنْهُمْ وَبَالَغُوا فِي أَمْرِهِمْ.

وَقَدْ تَطَاوَلَ الزَّمَانُ وَالْمُجَادَلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿شُكْرُهُ الْعَبْدُ الْكَبُورُ﴾ .

أَيُّ: وَمَعَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ فَمَا آمَنَ بِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ^(١).

نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ عليه السلام مِثَالُ حَيٍّ لِدَاعِيَةِ التَّوْحِيدِ الَّذِي لَمْ يُغَيِّرْهُ زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ.. إِنَّهُ مِثَالُ لِدَاعِيَةِ الَّذِي لَا يَمَلُّ وَلَا يَكَلُّ، جَعَلَ أَوَّلَ هَمِّهِ وَاهْتِمَامَاتِهِ التَّوْحِيدَ، فَرَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَهَيَّأَ لَهُ السَّفِينَةَ لِتَحْمِلَهُ وَتَحْمِلَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا

فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿شُكْرُهُ هُوَ﴾ .

فَانْظُرْ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى يَقِينٍ وَحُسْنِ ظَنِّ نَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ ﷺ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، فَرَعَمَ كَثْرَةَ الاسْتِهْزَاءِ وَرَمِيهِ بِكَلِمَاتِ الْمَكْرِ وَعِبَارَاتِ التَّنْقُصِ لَمْ
تُؤَثِّرْ فِيهِ وَلَمْ تُثْنِ مِنْ عَزِيمَتِهِ ﷺ..

فَلَمَّا دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ خَلَدَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَسَبَقَى قِصَّتَهُ خَالِدَةً
إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، تُؤَخِّدُ مِنْهَا الدُّرُوسُ وَالْعِبَرُ.



النموذج الثاني: هود عليه السلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرِهِ ۚ أَفَلَا تَنْقَوْنَ﴾ ﴿٦٥﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَادًا كَانُوا جُفَاءً كَافِرِينَ عُتَاةً مُتَمَرِّدِينَ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ فِيهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَىٰ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ وَتَنَقَّصُوهُ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ، فَلَمَّا أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَغَّبَهُمْ فِي طَاعَتِهِ وَاسْتَغْفَارِهِ وَوَعَدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ ذَلِكَ عُقُوبَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ

الْكَذَّابَ﴾ ﴿٦٦﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ] أَيْ: هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ سَفَاهَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي يُرْتَجَىٰ مِنْهَا النَّصْرُ وَالرِّزْقُ، وَمَعَ هَذَا نَظُنُّ أَنَّكَ تَكْذِبُ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ

لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ] أَيْ:

لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَظُنُّونَ وَلَا مَا تَعْتَقِدُونَ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ

أَمِينٌ﴾ ﴿٦٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، وَالبَلَاغُ يُسْتَلْزَمُ عَدَمُ الْكَذْبِ فِي أَصْلِ الْمُبْلَغِ

وَعَدَمَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنَّقْصَ مِنْهُ وَيَسْتَلْزِمُ إِبْلَاغَهُ بِعِبَارَةٍ فَصِيحَةٍ وَجِيزَةٍ جَامِعَةٍ مَانِعَةٍ لَا لُبْسَ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافَ وَلَا اضْطِرَابَ، وَهُوَ مَعَ هَذَا الْبَلَاغِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فِي غَايَةِ النُّصْحِ لِقَوْمِهِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَالْحِرْصِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ لَا يَتَّبِعِي مِنْهُمْ أَجْرًا وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ جُعْلًا، بَلْ هُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ ﷻ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَالنُّصْحِ لِحَلْفِهِ لَا يَطْلُبُ أَجْرَهُ إِلَّا مِنَ الَّذِي أَرْسَلَهُ، فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلَّهُ فِي يَدَيْهِ وَأَمْرِهِ إِلَيْهِ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَقَوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ

أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سُورَةُ هُودٍ].

فَلَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ لَكِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا بَلْ أَعْلَنُوا الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ بِاللَّهِ: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ ۖ أَتَجِدَلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

قَدْ اسْتَحَقَّيْتُمْ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ الرَّجْسَ وَالْغَضَبَ مِنَ اللَّهِ، أَتَعَارِضُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِعِبَادَةِ أَصْنَامٍ أَنْتُمْ نَحْتُمُوهَا وَسَمَّيْتُمُوهَا آلِهَةً مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ؟ اصْطَلَحْتُمْ عَلَيْهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، أَيْ: لَمْ يُنَزَّلْ عَلَى مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ دَلِيلًا وَلَا بُرْهَانًا، وَإِذَا أَبَيْتُمْ قَبُولَ الْحَقِّ وَتَمَادَيْتُمْ فِي الْبَاطِلِ وَسَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَنْهَيْتُكُمْ عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ أَمْ لَا، فَانْظُرُوا

الآن عَذَابُ اللَّهِ الْوَاقِعُ بِكُمْ، وَبَأْسُهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ، وَنَكَالُهُ الَّذِي لَا يُصَدُّ ﴿فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١) [سُورَةُ الْمُؤْتَفِكِينَ]

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ هُوَذَا ﷺ، جَادَلَهُ قَوْمُهُ وَبَالَغُوا فِي الْجِدَالِ وَهَدَّوْهُ، وَلَكِنْ مَا خَافَهُمْ وَلَا تَرَجَعَ فِي دَعْوَتِهِ بَلْ قَالَ كَلِمَاتٍ ثَابِتَاتٍ مُثَبَّتَاتٍ: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) مِنْ دُونِهِ ^ط فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) [سُورَةُ هُودٍ].

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾، أَي: مَعَ اجْتِمَاعِكُمْ وَكَيْدِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ فَإِنِّي لَا أَخَافُكُمْ وَلَا أَرْهَبُكُمْ فَمَا كَانَ جَزَاءَ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِرَبِّهِ الَّذِي يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا؟
الجواب:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ﴾ (٥٨) [سُورَةُ هُودٍ].

النُّمُودَجُ الثَّالِثُ: نَبِيُّ اللَّهِ صَلَاحٌ عليه السلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله:

«ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ ثَمُودَ اجْتَمَعُوا يَوْمًا فِي نَادِيهِمْ فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَاحٌ عليه السلام فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَذَكَرَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ وَوَعَّظَهُمْ وَأَمَرَهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنْ أَنْتَ أَخْرَجْتَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ وَأَشَارُوا إِلَى صَخْرَةٍ هُنَاكَ نَاقَةٌ مِنْ صِفَتِهَا كَيْتٌ وَكِيتٌ وَذَكَرُوا أَوْصَافًا سَمَّوْهَا وَنَعَتُوهَا وَتَعَتُّوْا فِيهَا، وَأَنْ تَكُونَ عَشْرَاءَ طَوِيلَةٍ مِنْ صِفَتِهَا كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَاحٌ عليه السلام أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَجَبْتُكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي طَلَبْتُمْ أَتُؤْمِنُونَ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ وَتُصَدِّقُونِي فِيمَا أُرْسِلْتُ بِهِ؟

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها،

أَي: أَكْثَرُهُمْ»^(١).

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أُنْتُنَا إِيمًا تَعْدُنَا إِن

كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

[سُورَةُ الْأَنْعَامِ]

فَكَانَتْ نِهَائِيَّتُهُمْ كَنَهَايَةِ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ لَمْ يَنْفَعْ فِيهِمْ وَعْظٌ وَلَا تَذْكِيرٌ،
وَكَانَ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ لِمَنْ وَحَّدَ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ.



(١) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١ / ١٥٤).

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ هَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي نَقْلَهَا فِي تَفْسِيرِ
كِتَابِ اللَّهِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، بَلْ لَوْ كَانَتْ
صَحِيحَةً لَذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّ فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَبَرِ وَالْآيَاتِ مَا لَا يُهْمِلُهُ تَعَالَى
وَيَدْعُ ذِكْرَهُ، حَتَّى يَأْتِيَ مِنْ طَرِيقٍ مَنْ لَا يُوثِقُ بِنَقْلِهِ، بَلْ الْقُرْآنُ يُكَذِّبُ بَعْضَ هَذِهِ
الْمَذْكُورَاتِ» «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (٢٩٥).

النَّمُودَجُ الرَّابِعُ: الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّهَا دَعْوَةً لِلتَّوْحِيدِ:
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ
 لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ].

وَكَانَتْ أَوَّلَ دَعْوَتِهِ لِأَبِيهِ^(١)، وَكَانَ أَبُوهُ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ لِأَنَّهُ أَحَقُّ
 النَّاسِ بِإِخْلَاصِ النَّصِيحَةِ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ
 صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا
 ﴿٤٢﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾
 يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ].

فَذَكَرَ تَعَالَى مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ مِنَ الْمُحَاوَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ وَكَيْفَ دَعَا
 أَبَاهُ إِلَى الْحَقِّ بِالْطَّفِ عِبَارَةً، وَأَحْسَنَ إِشَارَةً، بَيَّنَ لَهُ بُطْلَانَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ
 عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ دُعَاءَ عَابِدِهَا، وَلَا تُبْصِرُ مَكَانَهُ، فَكَيْفَ تُغْنِي
 عَنْهُ شَيْئًا أَوْ تَفْعَلُ بِهِ خَيْرًا مِنْ رِزْقٍ أَوْ نَصْرِ؟!

وَتَأَمَّلْ أَخِي الْحَبِيبُ أَنَّ مِنْ ثَمَرَاتِ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ أَنَّكَ تُرْزَقُ بِالذَّرِيَّةِ

الصَّالِحَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِمَامَ الْمُؤَحِّدِينَ وَإِمَامَ الْحُنَفَاءِ، رُزِقَ
بِأَنْبَاءِ أَنْبِيَآءٍ.. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَهُ
إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ﴾ [سُورَةُ هُودٍ: ٤٩].

• وَفِي مَوْقِفٍ آخَرَ كَذَلِكَ لَهُ ﷺ وَهُوَ فِي مَقَامِ الْمُنَظَرَةِ يُقَرَّرُ لِقَوْمِهِ
مَقَامَ الْأُلُوْهِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ
فَقَدْ عُبِدَ بِالْبَاطِلِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا
أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ
يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا
رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوْرٍ إِنِّي بِرِئٍ مِّمَّا تَشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي
وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
(٧٩) [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٧٩].

وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ مُنَظَرَةِ لِقَوْمِهِ وَبَيَانٍ لَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامَ الْمُشَاهِدَةَ
مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّيِّرَةِ لَا تَصْلُحُ لِلْأُلُوْهِيَّةِ، وَلَا أَنْ تُعْبَدَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهَا
مَخْلُوقَةٌ مُرَبُّوبَةٌ مُصْنُوعَةٌ مُدَبَّرَةٌ مُسَخَّرَةٌ تَطْلُعُ تَارَةً وَتَأْفُلُ أُخْرَى، فَتَغِيبُ
عَنْ هَذَا الْعَالَمِ وَالرَّبِّ تَعَالَى لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، بَلْ
هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي بِلَا زَوَالٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَوَّلًا عَدَمَ

صَلَاحِيَّةِ الْكَوَاكِبِ... ثُمَّ تَرْقَى مِنْهَا إِلَى الْقَمَرِ الَّذِي هُوَ أَضْوَأُ مِنْهَا وَأَبْهَى مِنْ حُسْنِهَا.

ثُمَّ تَرْقَى إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ الْأَجْرَامِ الْمُشَاهِدَةِ ضِيَاءً وَسَنَاءً وَبَهَاءً فَيَبَيِّنُ أَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ مُسَيَّرَةٌ مُقَدَّرَةٌ مُرَبُّوبَةٌ^(١).

وَبِهَذَا قَرَّرَ لَهُمُ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الشَّرْكِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ ذَنْبٍ وَأَعْظَمُ جُرْمٍ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي وَجَّهِيَ لِلَّذِي

فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَائِفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٧١] [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

وَفِي مَقَامٍ آخَرَ مَعَ قَوْمِهِ لَمَّا قَابَلَهُمْ بِقُوَّةِ الْحُجَّةِ فَقَابَلُوهُ بِحُجَّةِ الْقُوَّةِ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ لِلَّهِ لَا كُفْيَانُ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ

(١) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١/ ١٦٥).

عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِثَالِهَتِنَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ
 ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
 يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ
 كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ].

وَتَخَيَّلَ مَعِيَ أَخِي الْحَبِيبَ هَذَا الْمَوْقِفَ:

يَجْمَعُونَ الْحَطَبَ مُدَّةً حَتَّىٰ إِنَّ الطَّيْرَ لَتَمُرُّ بِهَا فَتَحْتَرِقُ مِنْ شِدَّةِ وَهَجِهَا
 وَحَرِّهَا، جَاؤُوا بِهِ ﷺ لِيُلْقَوْهُ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ إِمَامُ الْحَنْفَاءِ الَّذِي يَعْلَمُ قُوَّةَ
 وَعَظَمَةَ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ قَالَهَا: حَسْبُنَا اللَّهُ
 وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ
 ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ^(١).

فَمَا كَانَ جَزَاءُ الْمُوحِّدِ؟ بَلْ إِمَامُ الْحَنْفَاءِ.
 إِنَّهُ الْفَرَجُ مِنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ..

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦١﴾ النَّارُ فِي الْأَصْلِ تُحْرِقُ لَكِنْ لَمَّا يُعَلَّقُ الْعَبْدُ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ تَنْقَلِبُ الْمَوَازِينُ، فَتَصِيرُ النَّارُ لَا تُحْرِقُ، بَلْ ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا﴾.

● وَلَمَّا أَسْكَنَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمُّهُ هَاجَرَ فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ].

مَاذَا كَانَ مَوْقِفُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْمُوَحِّدَةِ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ، وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جَرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا، وَجَعَلَ لَا يُلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ إِذَا لَا يُضِيعُنَا»^(١).

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٣٣٦٤).

إِنَّهَا كَلِمَةٌ مُّوَحَّدَةٌ مُّتَوَكِّلَةٌ مُّوَقِنَةٌ بِرَبِّهَا رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،
وَعَلِمَتْ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُخَيِّبُ
أَوْلِيَاءَهُ وَلَا يُضَيِّعُ مَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ وَنَادَاهُ.. سُبْحَانَكَ رَبَّنَا رَبَّنَا.



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٨٢).

مِنْ دَعَوَتِهِمَا، شَرَعَ فِي تَعْيِيرِ رُؤْيَاهُمَا»^(١).

«الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ وَاحِدَةٌ أَمْنٌ وَاسْتِقْرَارٌ..

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُوَحِّدَ الَّذِي يَخْضَعُ لِرَبِّ وَاحِدٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ، وَيُكَلِّفُهُ بِهِ مُسْتَرِيحٌ مُسْتَقَرٌّ يَنْعَمُ بِرَاحَةِ الْاسْتِقَامَةِ وَالْأَمْنِ وَالْيَقِينِ، وَتَجْمَعُ الطَّاقَةُ، وَوَحْدَةُ التَّوَجُّهِ، وَوُضُوحُ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى مَنْهَجٍ وَاضِحٍ صَرِيحٍ. وَالْقَلْبُ الْمُعَبَّدُ لِلإِلَهِ الْحَقِّ يَقْطَعُ الرِّحْلَةَ إِلَى غَايَتِهِ عَلَى هُدًى؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَصْدَرًا وَاحِدًا لِلْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، وَمَصْدَرًا وَاحِدًا لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ، وَمَصْدَرًا وَاحِدًا لِلْمَنْحِ وَالْمَنْعِ، فَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ وَحْدَهُ، وَيَعْتَصِمُ بِحَبْلِ وَاحِدٍ يَشُدُّ عُرْوَتَهُ..

سَيِّدًا وَاحِدًا يَعْرِفُ مَاذَا يُرْضِيهِ؛ فَيَفْعَلُهُ، وَمَاذَا يُغْضِبُهُ فَيَنْتَقِيهِ»^(٢).

فَيُؤَسِّفُ ﷺ لَا يُضَيِّعُ الْوَقْتَ، وَلَا يَنْسَى الدَّعْوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي غِيَابِ السُّجُونِ، فَهَذَا دَرْسٌ لَنَا جَمِيعًا لِنَهْتَمَّ فِي دَعْوَتِنَا إِلَى أَصْلِ الْأُصُولِ وَمِفْتَاحِ الْوُصُولِ وَدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ = التَّوْحِيدِ.

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (٤ / ٣٩٠).

(٢) «إِتْحَافُ الْإِلْفِ» (١ / ٤٥٠).

النُّمُودَجُ السَّادِسُ: يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذَهَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُغَاضِبًا بِسَبَبِ قَوْمِهِ، رَكِبَ سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ فَاضْطَرَبَتْ وَمَاجَتْ بِهِمْ وَثَقُلَتْ بِمَا فِيهَا، وَكَادُوا يَغْرِقُونَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ. فَاشْتَرَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَقْتَرِعُوا فَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ أَلْقَوْهُ مِنَ السَّفِينَةِ لِيَحْفَظُوا مِنْهُ.

فَلَمَّا اقْتَرَعُوا وَقَعَتْ الْقُرْعَةُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَسْمَحُوا بِهِ فَأَعَادُوهَا ثَانِيَةً، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا، فَشَمَرَ لِيَخْلَعَ ثِيَابَهُ وَيُلْقِي بِنَفْسِهِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَعَادُوا الْقُرْعَةَ ثَالِثَةً فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ١١٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ ﴿١٤٢﴾ مُلِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧﴾ لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ].

[الْأَنْبِيَاءُ].

فَبِالتَّوْحِيدِ تُفَرِّجُ الْهُمُومَ، وَتُرْفَعُ الْغُمُومُ، وَتُنْفَسُ الْكُرْبَاتُ بِإِذْنِ رَبِّ
الْبَرِّيَّاتِ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي
شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ:
«فَإِنَّ فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَاعْتِرَافِ الْعَبْدِ
بِظُلْمِهِ وَذَنْبِهِ مَا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَدْوِيَةِ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَأَبْلَغِ الْوَسَائِلِ إِلَى
اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ وَالتَّنْزِيهِ يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ كُلِّ
كَمَالٍ لِلَّهِ، وَسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَتَمَثِيلٍ عَنْهُ، وَالْاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ يَتَضَمَّنُ
إِيمَانَ الْعَبْدِ بِالشَّرْعِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَيُوجِبُ انْكِسَارَهُ وَرُجُوعَهُ إِلَى
اللَّهِ، وَاسْتِقَالَتِهِ عَشْرَتَهُ، وَالْاعْتِرَافُ بِعُبُودِيَّتِهِ، وَافْتِقَارِهِ إِلَى رَبِّهِ، فَهَذَا أَرْبَعَةُ
أُمُورٍ قَدْ وَقَعَ التَّوَسُّلُ بِهَا: التَّوْحِيدُ، وَالتَّنْزِيهِ، وَالْعُبُودِيَّةُ، وَالْاعْتِرَافُ»^(٢).



(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٨٤٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٣٨٣).

(٢) «زَادُ الْمَعَادِ» (٢/٢٠٨).

النَّمُودَجُ السَّابِعُ: نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام

إِنَّ قِصَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام مَعَ قَوْمِهِ مِنْ أَكْثَرِ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ذِكْرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَمْ حَوَتْهُ مِنَ الْفَوَائِدِ الْعَدِيدَةِ وَالذُّرُوسِ الْكَثِيرَةِ: مِنْ وَلَادَتِهِ إِلَى وَفَاتِهِ عليه السلام.

قِصَّةُ رَجُلٍ مُوَحِّدٍ عَاشَ فِي قَصْرِ طَاغِيَةٍ أَصْدَرَ أَمْرًا بِقَتْلِ أَيِّ غُلَامٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سُورَةُ الْقَصَصِ].

وَلَكِنْ بِقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ وَمُعْجَزَةٍ مِنْهُ صَارَ يَعِيشُ فِي قَصْرِهِ، لِيَتَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الْقَصَصِ].

بَلَغَ أَشُدَّهُ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ فَصَارَ كَلِيمَ اللَّهِ، بَلَّ مِنْ أُولَى الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَدَعَا قَوْمَهُ.. وَدَعَا فِرْعَوْنَ وَحَاشِيَتَهُ.. إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.. وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ طَغَىٰ وَادَّعَى الرَّبُوبِيَّةَ: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ].

فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ

فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ، يَذْكُرْ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ [سُورَةُ طٰهٍ].

لَقَدْ وَقَعَتِ الْمُنَاطَرَةُ بَيْنَ مُوسَى ﷺ مَعَ السَّحَرَةِ: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ
الْمُفْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾
قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ
عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾
وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَيْنَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ
﴿١٢٢﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

فَهَزَمَ التَّوْحِيدَ الشِّرْكَ وَالتَّنِيدَ، وَكَانَ الْأَوَّلَى بَلْ وَالْأَمْرَ الْمُتَحْتَمَّ عَلَى
فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ بَعْدَ مَا تَأَكَّدَ صِدْقُ مُوسَى
وَأَخِيهِ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَكِنَّهُ الطُّغْيَانُ وَالْعِنَادُ فَأَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا
وَيُسَلِّمُوا لِخَالِقِهِمْ وَبَارِيهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَازْدَادَ أَهْلُ الْإِيمَانِ إِيْمَانًا، وَأَهْلُ الْكُفْرِ طُغْيَانًا، وَأَرَادُوا مُبَاشَرَةَ
التَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ بِأَيْدِيهِمْ، فَمَا سَمِعَ مُوسَى ﷺ الْوَعِيدَ وَالتَّهْدِيدَ حَتَّى
قَالَ لِقَوْمِهِ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ.. كَلِمَاتُ الْوَاقِعِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى رَبِّهِ: ﴿ قَالَ مُوسَى
اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٢٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

فَمَا كَانَ جَزَاؤُهُ؟!

﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١) ﴿سُورَةُ

فَجَاءَ كَلَامُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ لِلْعَزِيزِ الْحَمِيدِ... جَاءَ كَلَامُ مَنْ
تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِرَبِّهِمُ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ وَنَاجَاهُ... ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٦٢) ﴿سُورَةُ

فَيَأْتِي الْفَرْجُ مِنَ اللَّهِ الرَّحِيمِ الْكَرِيمِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣) وَأَزَلْنَا ثُمَّ
الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْنَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿سُورَةُ

إِنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ الَّذِي وَقَفَهُ مُوسَى عليه السلام مَعَ قَوْمِهِ خَلَدَهُ الْقُرْآنُ
الْكَرِيمُ.

فَهَذِهِ الْأَحْدَاثُ لَنْ تُنْسَى، وَسَتَبْقَى حَيَّةً فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ..
وَالْمُسْلِمُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى تَذْكِيرِ نَفْسِهِ بِهِذِهِ الْمَوَاقِفِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ..
فَالْعَدُوُّ مِنْ خَلْفِهِمْ مُدْجِجٌ بِالسَّلَاحِ لِيَبْطِشَ بِهِمْ وَلِيَقْتُلَهُمْ، وَأَمَامَهُمْ لَا
يُوجَدُ الْمَفَرُّ.. أَمَامَهُمُ الْبَحْرُ، فَلَا خَلَاصَ وَلَا نَجَاةَ فِي نَظَرِ الْقَوْمِ..
اللَّهُ أَكْبَرُ سُبْحَانَ اللَّهِ.. إِقَامَةُ طَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ تَسْتَلْزِمُ أَيَّامًا وَعُمَلًا..
وَلَكِنْ عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَفِي لَحْظَاتٍ فَقَط: الْبَحْرُ وَأَمَوَاجُهُ وَصُخُورُهُ
يَصِيرُ طَرِيقًا يَبَسًا.. إِنَّهُ اللَّهُ جل جلاله.

النموذج الثامن: عيسى ابن مريم عليه السلام

لَقَدْ كَانَ مِيلَادُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام مُعْجَزَةً فِي حَدِّ ذَاتِهِ؛ فَقَدْ وُلِدَ عليه السلام مِنْ أُمِّ بَدُونِ أَبِي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سُورَةُ الْاَنْعَامِ: ١١٠].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله:

«يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمٍّ، بَلْ ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَالَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخَرَى، وَإِنْ جَازَ ادِّعَاءُ الْبُتُوَّةِ فِي عِيسَى بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبِي، فَجَوَازُ ذَلِكَ فِي آدَمَ بِالطَّرِيقِ الْأُولَى، وَمَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، فَدَعَوَاهَا فِي عِيسَى أَشَدُّ بُطْلَانًا وَأَظْهَرُ فَسَادًا. وَلَكِنَّ الرَّبَّ سبحانه، أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ قُدْرَتَهُ لِخَلْقِهِ، حِينَ خَلَقَ آدَمَ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى؛ وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ كَمَا خَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ:

﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [سُورَةُ مُرْيَمَ] (١).

فَجَاءَتْ الْبُشْرَى لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ...

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سُورَةُ

الْأَنْعَامِ] .

«يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَشَّرَتْ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِأَعْظَمِ بَشَارَةٍ، وَهُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، سُمِّيَ كَلِمَةَ اللَّهِ لِأَنَّهُ كَانَ بِالْكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّ حَالَتَهُ خَارِجَةٌ عَنِ الْأَسْبَابِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ وَعَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَرْيَمَ، فَفَتَحَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا فَوَلَجَتْ فِيهَا تِلْكَ النَّفْخَةُ الزَّكِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ الْمَلَكِ الزَّكِيِّ، فَانْشَأَ اللَّهُ مِنْهَا تِلْكَ الرُّوحَ الزَّكِيَّةَ، فَكَانَ رُوحَانِيًّا نَشَأَ مِنْ مَادَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ، فَلِهَذَا سُمِّيَ رُوحُ اللَّهِ ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أَيُّ: لَهُ الْوَجَاهَةُ الْعَظِيمَةُ فِي الدُّنْيَا، جَعَلَهُ اللَّهُ أَحَدَ أُولِي الْعِزِّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ وَالْأَتْبَاعِ، وَنَشَرَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الذِّكْرِ مَا مَلَأَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَفِي الْآخِرَةِ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ يَشْفَعُ أَسْوَةً بِإِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَيُظْهِرُ فَضْلَهُ عَلَى أَكْثَرِ الْعَالَمِينَ، فَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ، أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى رَبِّهِمْ، بَلْ هُوَ

﴿عَلَّمَ﴾ مِنْ سَادَاتِ الْمُقَرَّبِينَ^(١).

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [سُورَةُ

مَرْيَمَ].

أَتَتْ بِذَلِكَ الْوَلَدِ وَهِيَ لَمْ تَتَزَوَّجْ أَصْلًا، فَبَادَرَهَا قَوْمُهَا بِالِاتِّهَامِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، فَأَتَتْ الْبَرَاءَةَ عَلَى لِسَانِ هَذَا الْوَلَدِ الَّذِي

نَطَقَ وَهُوَ وَلِيدٌ جَدِيدٌ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾

[سُورَةُ مَرْيَمَ].

وَمَا زَالَ هَذَا الْوَلِيدُ يَكْبُرُ وَيَكْبُرُ فَدَعَا قَوْمَهُ لِلتَّوْحِيدِ ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ].

وَبَقِيَ عَلَى هَذَا طَوَالَ حَيَاتِهِ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ

لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي إِيَّاكَ

أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ].

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنُ» (ص ١٣٠).

النموذج التاسع: مُحَمَّدٌ ﷺ

إِنَّهُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمَ وَالرَّسُولَ الْأَعْظَمَ ﷺ، كَانَتْ دَعْوَتُهُ ﷺ كُلُّهَا تَوْحِيدًا وَتَحْذِيرًا مِنَ الشِّرْكِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ مُبَارَكُ الْمِیْلِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَلَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ التَّنْذِيرَ بِالْأَصْنَامِ وَهُوَ وَحِيدٌ، وَلَا ذَهَلَ عَنْهُ وَهُوَ مَحْصُورٌ بِالشَّعْبِ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ شَدِيدَاتٍ، وَلَا نَسِيَهُ وَهُوَ مُخْتَفٍ فِي هِجْرَتِهِ وَالْعَدُوُّ مُشْتَدٌّ فِي طَلَبِهِ، وَلَا قَطَعَ الْحَدِيثَ عَنْهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ بِمَدِينَتِهِ بَيْنَ أَنْصَارِهِ، وَلَا غَلَقَ بَابَ الْخَوْضِ فِيهِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَا شُغِلَ عَنْهُ وَهُوَ يُجَاهِدُ وَيَنْتَصِرُ وَيَكْرُ وَلَا يَفِرُّ، وَلَا اكْتَفَى بِطَلَبِ الْبَيْعَةِ عَلَى الْقِتَالِ عَنْ تَكْرِيرِ عَرْضِ الْبَيْعَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَبَذِ الشِّرْكِ، وَهَذِهِ سِيرَتُهُ الْمُدَوَّنَةُ وَأَحَادِيثُهُ الْمُصَحَّحَةُ؛ فَتَتَبَعْهَا، تَجِدْ تَصْدِيقَ مَا ادَّعَيْنَا، وَتَفْصِيلَ مَا أَجْمَلْنَا»^(١).

كَانَ ﷺ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَغْلِحُوا»^(٢).

(١) «رِسَالَةُ الشِّرْكِ وَمَظَاهِرُهُ» (ص ٤٥).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٦٠٢٣)، وَابْنُ حِبَّانَ (١٦٨٣)، وَالذَّارِقُطْنِي

(٣٠٢٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ (١٠٨٧٩)، وَانْظُرْ: «الْإِرْوَاءُ» (٨٣٤).

وَعِنْدَمَا حَضَرَتْ الْوَفَاءُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ:

«يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»^(١).

وَكَانَ مِنْ دَعْوَتِهِ ﷺ حِمَايَةُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ، فَأَعْرَابِيٌّ بَالٍ فِي الْمَسْجِدِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ

سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(٢).

فَلَمْ يُعْنَفْ عَلَيْهِ وَمَا زَجَرَهُ بَلْ عَاتَبَ صَحَابَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفِي الْمُقَابِلِ شَدَّدَ ﷺ عَلَى مَنْ قَالَ لَهُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ»، وَمَنْ عَلَّقَ حَلَقَةً.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٣).

وَرَوَى عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ عَلَى عَصْدِ رَجُلٍ حَلَقَةً أَرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرِ فَقَالَ: «وَيْحَاكَ مَا هَذِهِ؟».

قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ.

قَالَ: «أَمَّا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا ابْنُذَهَا عَنْكَ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ

(١) رَوَاهُ الْجَزَائِرِيُّ (١٣٦٠)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤١).

(٢) رَوَاهُ الْجَزَائِرِيُّ (٦١٢٨)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٨٥).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٨٦٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٥٣١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

«السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (١٣٩).

مَا أَفْلَحْتُ أَبَدًا»^(١).

لَأَنَّ الْمَعْصِيَةَ مَهْمَا بَلَغَتْ فَإِنَّهَا لَا تَصِلُ لِدَرَجَةِ الشَّرِكِ، كَمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَأَنَّ أَحْلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ
بِغَيْرِهِ وَأَنَا صَادِقٌ»^(٢).

وَهَكَذَا عَاشَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو قَوْمَهُ وَيُرِيي أَصْحَابَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ إِلَى
آخِرِ أَيَّامِهِ فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي ﷺ:

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِي
مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
مَسَاجِدَ»، لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا.^(٣)
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي جُنْدَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ
يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٠٠٠٠)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٥٣١)، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«ضَعِيفِ ابْنِ مَاجَهَ» (٧٧٢).

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٨٩٠٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»
(٢٥٦٢).

(٣) رَوَاهُ النَّجَّارِيُّ (١٣٩٠)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢١٢).

كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ إِلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(١).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ صَاحِبَ التَّوْحِيدِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(٢).



(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢١٦).

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٩٩).

المطلب الثاني:

الطريق إلى العلم بالتوحيد

إِنَّ لِلتَّوْحِيدِ الْأَهَمِّيَّةَ الْكُبْرَى فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ؛ فِيهِ سَعَادَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ عَمَلٌ وَلَا تَصِحُّ مِنْهُ طَاعَةٌ بِدُونِهِ.

وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى الْعِلْمِ بِالتَّوْحِيدِ مَعَالِمٌ لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِهَا، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ذَكَرَهَا الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِي رحمته الله فِي

«تَفْسِيرِهِ»^(١) لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ].

فَقَالَ رحمته الله:

«الْعِلْمُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ إِقْرَارِ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَتِهِ، بِمَعْنَى مَا طَلَبَ مِنْهُ عِلْمُهُ، وَتَمَامُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ»^(٢).

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّانِ» (ص ٧٨٧)، وَذَكَرَهَا كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ «تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ص ٢١).

(٢) وَلِهَذَا بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رحمته الله فِي «صَحِيحِهِ»: بَابَ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ].

وَهَذَا الْعِلْمُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ (وَهُوَ الْعِلْمُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ) فَرُضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، لَا يَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ، كَائِنًا مَنْ كَانَ، بَلْ كُلُّ مُضْطَرٍّ إِلَى ذَلِكَ^(١).
وَالطَّرِيقُ إِلَى الْعِلْمِ بِأَنَّهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أُمُورٌ:
أَحَدُهَا بَلْ أَعْظَمُهَا: تَدَبُّرُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ، فَإِنَّهَا تُوجِبُ بَذَلَ الْجُهْدِ فِي التَّأَلُّهِ لَهُ، وَالتَّعَبُّدِ لِلرَّبِّ الْكَامِلِ الَّذِي لَهُ كُلُّ حَمْدٍ وَمَجْدٍ وَجَلَالٍ وَجَمَالٍ^(٢).

(١) انظر في ذَلِكَ كَلَامَ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/١٥٦)،
وَمُقَدِّمَةِ الْعَلَامَةِ ابْنِ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيِّ» (ص ٢١).

(٢) قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَوْضِيحِ هَذَا الْكَلَامِ:
«هَذَا الْعِلْمُ - وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِاللَّهِ تَعَالَى - أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَجَلُّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ.
فَالَا شْتَغَالٌ بِفَهْمِهِ وَالْبَحْثُ التَّامُّ عَنْهُ، اشْتِغَالٌ بِأَعْلَى الْمَطَالِبِ، وَحُصُولُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ
أَشْرَفِ الْمَوَاهِبِ.

(ف) إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ
لَهُ، وَهَذَا عَيْنُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ،
وَالْتَفَقُّهِ فِي فَهْمِ مَعَانِيهَا.

.. وَ.. اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَيَعْرِفُوهُ، فَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُمْ، فَلَا شْتَغَالُ
بِذَلِكَ اشْتِغَالٌ بِمَا خُلِقَ لَهُ الْعَبْدُ، وَتَرْكُهُ وَتَضْيِيعُهُ إِهْمَالٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَقَبِيحٌ بَعْدُ لَمْ
تَزَلْ نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُتَوَاتِرَةً، وَفَضْلُهُ عَلَيْهِ عَظِيمٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِرَبِّهِ
مُعْرِضًا عَنْ مَعْرِفَتِهِ» «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص ٣٥).

الثَّانِي: الْعِلْمُ بِأَنَّهُ تَعَالَى الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ^(١).

الثَّالِثُ: الْعِلْمُ بِأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالنَّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِهِ وَمَحَبَّتَهُ، وَالتَّأَلُّهُ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ^(٢).

(١) هَذِهِ مَسْأَلَةٌ يُقَرِّرُهَا الْعُلَمَاءُ: وَهِيَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ مُسْتَلْزِمٌ لِتَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ، قَالَ

الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ» «جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ» (١/ ٣٧٠).

(٢) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ بَحْثُونَ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ].

وَالنَّفْسُ مَجْبُودَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، فَكَيْفَ رَبِّهَا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهَا وَوَهَبَهَا مَا تَرْجُو وَفَوْقَ مَا تُؤْمَلُ مَعَ تَقْصِيرِهَا وَتَفْرِيطِهَا.

لِذَا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْفَقِيرَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْ رَبِّهِ الْغَنِيِّ الْقَدِيرِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلَحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (١٠٤٠٥)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (٦٦١).

الرَّابِعُ: مَا نَرَاهُ وَنَسْمَعُهُ مِنَ الثَّوَابِ لِأَوْلِيَائِهِ الْقَائِمِينَ بِتَوْحِيدِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالنَّعْمِ الْعَاجِلَةِ، وَمِنْ عُقُوبَتِهِ لِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، فَإِنَّ هَذَا دَاعٍ إِلَى الْعِلْمِ بِأَنَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ كُلِّهَا^(١).

الخَامِسُ: مَعْرِفَةُ أَوْصَافِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي عُبِدَتْ مَعَ (لِلَّهِ)، وَاتُّخِذَتْ آلِهَةً، وَأَنَّهَا نَاقِصَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فَقِيرَةٌ بِالذَّاتِ، لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِعِبَادِيهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، وَلَا يَنْصُرُونَ مَنْ عَبَدَهُمْ، وَلَا يَنْفَعُونَهُمْ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ، مِنْ جَلْبِ خَيْرٍ أَوْ دَفْعِ شَرٍّ، فَإِنَّ الْعِلْمَ بِذَلِكَ يُوجِبُ الْعِلْمَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَبُطْلَانُ إِلَهِيَّةِ مَا سِوَاهُ^(٢).

وَذَلِكَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ لِتَجْدِيدِ الْإِفْتِقَارِ لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﷻ.

فَاللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

(١) وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ **الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ** الْعَدِيدَ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَكَيْفَ أَيْدَهُمُ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، فَنَصَرَ أَوْلِيَائِهِ وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُ، وَلَكِنْ «قَدْ يُشْكِلُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: الرُّسُلُ قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُونَ مَنْصُورِينَ؟

فَيَقَالُ: الْقَتْلُ إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ فِيهِ عِزُّ الدِّينِ وَأَهْلِهِ كَانَ هَذَا مِنْ كَمَالِ النَّصْرِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِذَا مَاتَ مَيِّتَةً يَكُونُ بِهَا سَعِيدًا فِي الْآخِرَةِ، فَهَذَا غَايَةُ النَّصْرِ، كَمَا كَانَ حَالُ نَبِيِّنَا ﷺ، فَإِنَّهُ اسْتَشْهَدَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فَصَارُوا إِلَى أَعْظَمِ كَرَامَةٍ، وَمَنْ بَقِيَ كَانَ عَزِيزًا مَنْصُورًا.. فَاَلْمَقْتُولُ إِذَا قُتِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ نَصْرِهِ، وَنَصْرِ أَصْحَابِهِ» (اِخْتِيَارَاتُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ص ٧٠).

(٢) كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا

السَّادِسُ: اتَّفَاقُ كُتُبِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَتَوَاطُؤُهَا عَلَيْهِ.

السَّابِعُ: أَنَّ خَوَاصَّ الْخَلْقِ، الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ الْخَلِيقَةِ أَخْلَاقًا وَعُقُولًا وَرَأْيًا وَصَوَابًا، وَعِلْمًا - وَهُمْ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ - قَدْ شَهِدُوا لِلَّهِ بِذَلِكَ ^(١).

الثَّامِنُ: مَا أَقَامَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْأَفْقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ أَعْظَمَ دَلَالَةٍ، وَتُنَادِي عَلَيْهِ بِلِسَانِ حَالِهَا بِمَا أُوْدَعَهَا مِنْ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ، وَيَدِيعُ حِكْمَتِهِ، وَغَرَائِبِ خَلْقِهِ ^(٢).

يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ [شُورَةُ].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٨٢٦) «أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو (بَنَ نُفَيْلٍ) كَانَ يَعْيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ الشَّأْءَ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ».

(١) وَدَعَوْا قَوْمَهُمْ لِلتَّوْحِيدِ وَحَذَرُوهُمْ مِنَ الشِّرْكِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ [شُورَةُ الْفَجَرَةِ].

(٢) قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقَالَ: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَآثَارُ الْخُطَا تَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ،

فَهَذِهِ الطَّرُقُ الَّتِي أَكْثَرَ اللَّهُ مِنْ دَعْوَةِ الْخَلْقِ بِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَبْدَاهَا فِي كِتَابِهِ وَأَعَادَهَا عِنْدَ تَأَمُّلِ الْعَبْدِ فِي بَعْضِهَا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ يَقِينٌ وَعِلْمٌ بِذَلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ وَتَوَاطَأَتْ وَاتَّفَقَتْ، وَقَامَتْ أَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَهَنَّاكَ يَرْسُخُ الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ بِذَلِكَ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، بِحَيْثُ يَكُونُ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي، لَا تُزَلِّزُهُ الشُّبُهَةُ وَالْخَيَالَاتُ، وَلَا يَزْدَادُ - عَلَى تَكَرُّرِ الْبَاطِلِ وَالشُّبُهَةِ - إِلَّا نُمُوًّا وَكَمَالًا.

هَذَا، وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى الدَّلِيلِ الْعَظِيمِ، وَالْأَمْرِ الْكَبِيرِ (وَهُوَ تَدَبُّرُ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالتَّأَمُّلُ فِي آيَاتِهِ) فَإِنَّهُ الْبَابُ الْأَعْظَمُ إِلَى الْعِلْمِ بِالتَّوْحِيدِ وَيَحْصُلُ بِهِ مِنْ تَفَاصِيلِهِ وَجَمَلِهِ مَا لَا يَحْصُلُ فِي غَيْرِهِ^(١).

وَأَرْضُ ذَاتُ فِجَاجٍ، كَيْفَ لَا تَدُلُّ عَلَى الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ.
وَقَالَ آخَرُ: عَرَفْتُهُ بِنَحْلَةٍ: بِأَحَدِ طَرَفَيْهَا تَعْسِلُ، وَالْآخَرُ تَلْسَعُ، وَالْعَسَلُ مَقْلُوبُ اللَّسْعِ.
وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ» (ص ٢٦) أَمْثَلَةً عَدِيدَةً.

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونُ مَنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ وَأَزْهَارُ كَمَا الذَّهَبُ السَّيِّكُ
عَلَى قَضَبِ الزَّبْرِ جِدَ شَاهِدَاتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

(١) قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَكَادُ الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ لِتَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ ضِدِّهِ، وَأَكْثَرُ الْآيَاتِ يُقَرِّرُ اللَّهَ فِيهَا تَوْحِيدَ الْأُلُوْهِيَّةِ، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُخْبِرُ أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ إِنَّمَا أُرْسِلَتْ تَدْعُوا قَوْمَهَا إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

الخاتمة

إِنَّ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ دَعْوَةٌ رَحْمَةٌ.. وَنِعْمَةٌ وَمِنَّةٌ، تَمْتَأُزُّ بِالصَّفَاءِ، وَالْوُضُوحِ وَالنَّقَاءِ، مَعَ الْخُلُوفِ مِنَ التَّعْقِيدِ، مُحَارِبَةً لِلشُّرْكِ وَالتَّنِيدِ، مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَهِيَ تَعَالِيمٌ مُوَافِقَةٌ لِلْفِطْرَةِ، بَعِيدَةٌ عَنِ الشُّكِّ وَالْحَيْرَةِ، يَقْبَلُهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ الْخَالِي مِنْ أَذْرَانِ الشُّبُهَاتِ الْمُتَجَرِّدُ عَنِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْتَصَرَ الْبَحْرُ فِي قَطْرَةٍ، وَلَا الْبُسْتَانُ فِي زَهْرَةٍ.
وَلَكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي يُطْرَحُ:

إِنَّا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ نَعِيشُ وَنَتَمَتَّعُ وَنَسْتَمْتِعُ بِشَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ الْيَانِعَةِ، وَأَثَارِهِ الطَّيِّبَةِ الرَّائِعَةِ، فَلْيَسْأَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ: مَاذَا قَدَّمْنَا لِلتَّوْحِيدِ؟
فَهَذَا طَائِرٌ يَغَارُ عَلَى التَّوْحِيدِ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ عليه السلام ذَكَرَ رَبُّنَا قِصَّتَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿وَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾
لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ

يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُوهُ» «الْقَوَاعِدُ الْحَسَنَةُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» بِتَعْلِيلِ الْعَلَامَةِ الْعُثَيْمِينَ رحمته الله (ص ٣٠).

غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا نَحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا كَانَ الْهُدُودُ دَاعِيًا إِلَى الْخَيْرِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَالسُّجُودِ لَهُ، نُهِيَ عَنْ قَتْلِهِ»^(١).

وَقَالَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَحَدَّثَ الْهُدُودُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِمَا رَأَاهُمْ يَفْعَلُونَهُ، مِنَ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ وَالسُّجُودِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَلَيْتَ أَكْثَرَ النَّاسِ عَرَفُوا مِنَ الشَّرِّكَ، مَا عَرَفَ الْهُدُودُ؛ فَأَنْكَرُوهُ، وَعَرَفُوا الْإِخْلَاصَ فَالْتَزَمُوهُ؛ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَسُبْحَانَ مَنْ غَرَسَ التَّوْحِيدَ فِي قَلْبِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ شَاءَ عَنْهُ، بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ»^(٢).

إِخْوَانِي فِي اللَّهِ:

اجْتَهِدُوا الْيَوْمَ فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهُ لَا يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ سِوَاهُ،

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (٦/ ١٨٨).

(٢) «الدَّرَرُ السَّنِّيَّةُ» (٢/ ٢٧٧).

وَاحْرِصُوا عَلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنْجِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا إِيَّاهُ..

مَا نَطَقَ النَّاطِقُونَ إِذْ نَطَقُوا

أَحْسَنَ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مَا نَطَقَ النَّاطِقُونَ إِذَا نَطَقُوا

أَحْسَنَ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

مَنْ لِدُنُوبِي وَمَنْ يُمَحِّصُهَا

غَيْرَكَ يَا مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

جَنَانُ خُلْدٍ لِمَنْ يُوحِّدُهُ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

نِيرَانُهُ لَا تَحْرِقُ مَنْ

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

أَقُولُهَا مُخْلِصًا بِلا بُخْلِ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(١)

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهَا» ضَمَّنَ «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ

الْحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (٢/ ٣٩٩).

الفهرس

٤مُقدِّمة
٩المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ، وَمَا هِيَ أَقْسَامُهُ؟
١٧المَطْلَبُ الثَّانِي: مَا مَعْنَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ
٢١المَطْلَبُ الثَّالِثُ: شُرُوطُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ
٢٨المَطْلَبُ الرَّابِعُ: نَوَاقِصُ التَّوْحِيدِ
٣٤المَطْلَبُ الْخَامِسُ: فَضَائِلُ التَّوْحِيدِ
٤٧المَطْلَبُ السَّادِسُ: الْأَوَّلِيَّاتُ فِي التَّوْحِيدِ
٥٦المَطْلَبُ السَّابِعُ: مِنْ قِصَصِ الْمُوَحِّدِينَ
٨٧المَطْلَبُ الثَّامِنُ: الطَّرِيقُ إِلَى الْعِلْمِ بِالتَّوْحِيدِ
٩٣الخَاتِمَةُ
٩٦الفهرس





ISBN 978-9931-616-53-5



9 789931 616535

